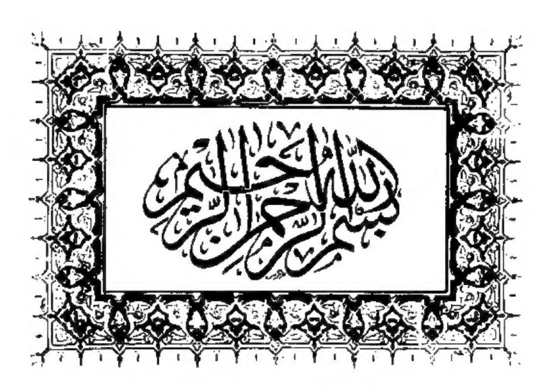
المنهج الإسلامي

في تعليم العلوم الطبيعية

بقلم
محمد عمر القصار


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * إقرأْ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم ﴾
(العلق)

* ﴿ ألم تر أن الله انزل من السمآء مآء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدوآب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلمآء إنّ الله عزيز غفور ﴾ (١)

* ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوي عزيز ﴾ (٢)

---

(١) فاطر ، الآية ٢٧ ـ ٢٨
(٢) الحديد ، الآية ٢٥

مقـــدمـة

كانت هدية رب العالمين الى عباده المسلمين ، كتابا كريما ، بعث به الرسول الامين محمد ﷺ ، ليحمله اليهم ويضعه بين ايديهم ، فيكون قائدهم ومرشدهم الى الصراط المستقيم وحجة لهم على العالمين .

كتاب يستهل نزوله مطالبا بالقراءة ومشيرا الى الكتابة والقلم ، ومنوها بالعلم والمعلم ومرشدا الى مصدر العلم ، والى المعلم .

كتاب يجعل الدين كله عبارة عن حلقات علم ومعرفة ، فلا يقبل لاتباعه الا عالم أو متعلم « ليس منا الا عالم أو متعلم » . حتي الدعاء « رب زدني علما » .

جعل الله سبحانه هذا الدين بالقرآن الكريم ، موسوعة معارف الحياة الدنيا والآخرة ، وجمع فيها عالم الغيب الى عالم الشهادة ، ثم طالب بالوقوف على اسرارهما ، وادراك حقيقتهما .

لقد رد القرآن الكريم الانسان الى عالم الشهادة ، ليستقرئ ما فيه ، ويمعن النظر بكل موجود فيه ، ويطيل الفكر في صنعه وترتيبه ، وتدبيره ، ليقف من وراء ذلك على احكام الصنع والتدبير والتقدير ، وينفذ من خلاله الى عالم الغيب .

﴿ **الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من**

تفاوت .. ﴾[1] .

ووجه اليه الخطاب لينظر ويفكر ويتدبر ، فيأخذ نصيبه من المعرفة . والخطاب لم يوجه الى المسلمين فقط ، بل للناس اجمعين . انظروا ، فكروا ، تدبروا ، ليدرك كل انسان نظرَ وفكرَ وتدبرَ وفي نطاق معرفته ، هذا الكون الكبير . ويلمس يد القدرة الالهية في الصنع والخلق والتدبير ، فيؤمن بالله ، ويستسلم لامر الله ، وبما يأتيه من عند الله ، يؤمن على بصيرة وهدى ، وعن بينة وبرهان .

القرآن الكريم قدم للانسان جميع المعارف اللازمة له والتي يحتاج اليها في هذه الحياة وبعد الممات .

هذه معارف الحياة الدنيا ، بسط بعضها كأنها بين ايدينا ، واشار الى البعض الآخر ليتم الانسان بمسعاه وجهده الطريق الى ما يسر الله له ان يعرف من هذا الكون . وذاك عالم الغيب أعطانا من أخباره وأوصافه ما يكفي لمعرفته وتصوره . وتلك أخبار الآخرة عرضها عرضا وافيا مستفيضا . ﴿ **مافرطنا في الكتاب من شيئ** ﴾ .

وأراد الانسان أن يعرف شيئا عن هذا الكون ولكن بعيدا عن إرشاد الدين فضل الطريق ، وحاد عن الصواب .

وفي هذا الكتاب نتلمس الطريق التي رسمها الدين ، وهدانا اليها رب العالمين للتعرف على الحياة ، وما في الحياة مستهدين في ذلك بالمعالم التي بثها رب الحياة هنا وهناك .

أوجد الله سبحانه على وجه الارض مخلوقات كثيرة ﴿ **بث فيها**

---

(١) سورة تبارك ، الآية ٣ .

من كل دابة ﴾ . وملأ ظهرها بأصناف النبات ، وأنواع الحيوان ، وصنوف الجماد ، وأودع باطنها من الكنوز ما يدهش العقول . وجعل السماء سقفا مرفوعا محفوظا ، لكنها زينة للناظرين . ففيها الكواكب السابحات ، والنازعات ، والسيارات ، وفيها هذا الفضاء الرحب بغيومه وصفائه ، برياحه وامطاره ، بسكونه وصخبه . كل ذلك في اطار من السنن والقوانين تضبط حركة هذه العوالم ، في نظام بلغ الغاية في الدقة والاحكام . قوانين تحكم الحياة . وتقدم للانسان عونا على الحياة وكشف اسرار الحياة .

تأمل الارض وقد أخذت زخرفها وازينت بحلة من حلل الربيع فأصبحت بهجة للناظرين وتأمل السماء وقد طلعت شمسها أو بدت كواكبها لآليئ ومصابيح ، وظهر القمر ، فغدت أنسا للسارين . وكتاب الله بين يديك تسمع وترى وتقرأ قول العزيز القدير :

﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ... ﴾[1]

﴿ ولقد جعلنا في السمآء بروجا وزيناها للناظرين .. ﴾[2]

﴿ أفلم ينظروا الى السمآء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج .. ﴾[3]

والطل في سلك الغصون كلؤلؤ رطب يصافحه النسيم فيسقط

---

(١) سورة تبارك ، الآية ٥ .

(٢)

(٣) سورة ق ، الآية ٦ .

والريح تكتب والغدير صحيفة والطير تقرأ والغمام ينقط

أيها الانسان المسلم : أمام هذا العطاء وهذا الجمال . وهذا الإعجاز ، وهذا التسخير لك ، أتقف مكتوف اليدين لا تبالي فيما سخر لك ، لا تبالي بهذا العطاء ، لا تبالي بتلك العوالم من حولك ، وتقول أنا مسلم !

ألم تؤمر بالنظر اليها ؟ والتفكير فيها ؟ ألم يلفت نظرك اليها اكثر من مرة ؟ ألم تسخر لك ؟ لخدمتك وانتفاعك ؟

فكيف توليها ظهرك ؟؟

لمن الحديد والنحاس ؟ ولمن النبات والحيوان والجماد ؟؟ ولمن البحار والانهار ؟ ولمن الجبال والسهول والوديان ؟

لمن زينت السماء ؟؟ ولمن ترقص الطيور ؟ وتملأ الفضاء مرددة على سمعك أحلى الأنغام ﴿ **أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن** .. ﴾[1] كيف تدير ظهرك أيها المسلم وتقول : لا أقرأ لها ، لا أسمع عنها ، لا أفكر بها ، لا انظر فيها ، أمم الارض تتسابق الى معالم الحياة ، ونحن نتعامى عنها ونتجاهلها ، لنكون تبعا لهم في كل شيئ ، نخضع لارادتهم اذلاء ، ونستجيب لرغباتهم مرغمين وننساق وراءهم مقلدين .

إنه موقف غريب وعجيب !!!!

لابد للانسان المسلم أن يسابق العالم أجمع فيقبل على مستودع الكون يتسلم مفاتحه ، فيفتح بيديه أبواب أسراره ، وينشر مكنونات

---

(١) سورة تبارك ، الآية ١٩ .

أخباره ، يبسطها على الملأ تامة غير منقوصة ، سليمة غير مشوهة فيتحرر من التبعية ويتخلص من التحكم وينفذ بذلك الامر الالهي بأداء الأمانة وتسلم عهد الخلافة .

لابد لهذا الكون من أيد أمينة تتسلم اسراره ، لتحسن استعمالها والافادة منها ، تستعملها في طاعة المنعم ورضاه ، وتنتفع بها وفق القانون الذي ارتضاه فلا يترك لعبث العابثين ، واللصوص المحترفين .

ولتسلم المفاتيح ، وطرق أبواب الحياة ، هل للاسلام في ذلك منهج خاص ينفرد به عن سائر المناهج التعليمية المنتشرة في العالم التي تطرق أبواب المعرفة ؟

في هذا الكتاب سوف نرى الجواب باذن الله تعالى ، ونعلم ما إذا كان للاسلام دوره في هذه المعرفة .. وما إذا كان له منهج خاص في التعرف على الكون ؟ فنبرهن على وجوده ، ونبين طبيعته وخصائصه ، ونؤكد منذ البداية أن هذا المنهج ذو طبيعة دينية لا تعرف فكرة الفصل في التعليم بين كلمة دين وعلم ، ولا مكان لها في هذا المنهج حيث لا يعترف ولا يقر الفصل بين الخالق سبحانه ومخلوقاته فكل مخلوقاته وكل مصنوعاته وكل قوانينه وسننه داخل في التنظيم ومشمول بالعناية في خطة التعليم الاسلامية .

واذا ابتلينا بمنهج تعليم يقر الفصل ويتبناه فذلك خطأ التقليد وخطره وقعناه فيها ، وجنينا من شروره الكثير . واذا كان دعاة الاصلاح يتلمسون الطريق فلابد أولا وقبل كل شيء من التخلص من منهج التعليم الحالي الذي كان السبب في كل فساد ساد وانتشر

في بلاد الاسلام ، واحلال منهج التعليم الاسلامي .

لابد من التخلص من منهج التعليم الحالي الدخيل قبل أن يعم البلاء ويدركنا الهلاك . وستكون خطة البحث في هذا الكتاب بمشيئة الله تعالى على النحو التالي :

الباب الاول : المنهج الاسلامي في التربية والتعليم بصورة عامة .

الباب الثاني : العلوم الطبيعية ودورها في الحياة .

الباب الثالث : اهمية تدريس العلوم الطبيعية وطريقة تدريسها .

وسوف نرى من خلال هذا العرض أن للاسلام منهجا كاملا متكاملا في التعليم ، أي في التعريف بالحياة الدنيا ، وما في الحياة الدنيا ، ثم في عقد الصلة مع الحياة الآخرة ثم في التعرف من خلالها على الصانع المدبر ، والمنظم المبدع ، الذي احسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

محمد القصار

الباب الاول

المنهج الاسلامي في التربية والتعليم

* **الفصل الاول** : المنهج الاسلامي في التربية (طبيعته وخصائصه)
* **الفصل الثاني** : المنهج الاسلامي في التعليم .
* **الفصل الثالث** : منهج التعليم في البلدان الاسلامية .

تمهيد

للاسلام منهج في التربية والتعليم ، وهذا المنهج يحمل خصائص الدين الاسلامي الذي انبثق عنه والذي يستمد منه قواعده ومفاهيمه ويأخذ عنه تصوره للحياة . إنه ينظر الى الحياة ، ويتصور الحياة ، نظرة الدين لهذا الكون كله وتصوره له ، والحياة الدنيا مرتبطة بالحياة الآخرة على أنهما كتلة واحدة لا انفصام بينهما .

هذا التصور للحياة عامة يعطي الانسان المسلم تصورا مماثلا للحياة الانسانية بأنه تصور واحد كامل شامل . يضع الانسان أمام فكر واحد يدير به الحياة كلها ويفهمها ويجعل المنهج التعليمي الذي به يعرف الحياة ، متجاوبا مع الانسان في تصوره للحياة ملبيا حاجته في تزويده بمعارف الحياة . فمن هذا المعين يأخذ الانسان معارفه ومنه يستمد نظام تصرفاته ، وبواسطته يبني كل روابطه .

يقوم هذا المنهج على اعتبار أن التربية ركن اساسي فيه ، وجزء لا يتجزأ منه وأن التعليم كذلك ، وأنه لا يمكن الاكتفاء بواحد منهما ، ولايمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر .

التعليم ضروري وهام ولكن لا يغني وحده ولا يكفي ، ولا يسد الدور العظيم الذي تقوم به التربية .

وكذلك التربية ضرورية جدا للانسان ، ولكن وحدها لا تكفي

ولا تسد حاجة الانسان الى المعرفة .

بناء على ذلك فان المنهج الاسلامي لايفرق بين التربية والتعليم في الاهمية ويرى خلافا لما عليه حال الناس اليوم ، ضرورتهما ، ويؤكد على تواجدهما معا . حيث ان تلازمهما على درجة من الاهمية ، فلا يتصور بينهما انفصالا .

هذه النظرة تنبع من الحاجة اليهما معا سواء للفرد أو الاسرة أو المجتمع . فكل فرد ، وكل اسرة ، والمجتمع كله بحاجة ماسة الى التربية أولا ، والى التعليم ثانيا . بل الحاجة اليهما معا . لأن من المفروض أن تتوافق التربية وأن تترافق مع التعليم فيتساندا في اعداد الفرد ، وتكوين الاسرة ، وتنظيم المجتمع . ويسيرا جنبا الى جنب في طريق هذا الاعداد . فالواقع يفرض علينا أن يغلف منهج التربية منهج التعليم ويطوقه فيبدوان وكأنهما نسيجا واحدا .

والمنطق السليم أن تمهد التربية وتعد الفرد للتعليم ، فيكسب معارف الحياة ويعرف الحياة وهو أهل لأن يمتلك زمام الحياة . فما لم تصقل التربية ذهن الانسان وتهذب من سلوكه ، وتسمو بروحه ، وتحد من نزواته ، لا يعد هذا الانسان صالحا للتعليم . فالتعليم بدون تربية سلاح خطير ، هو خطر على صاحبه ، وخطر على المجتمع . والشاهد العدل هذا القطيع من المتعلمين بدون تربية تنفيذا لمنهج التعليم المستورد .

بالتربية والتعليم تتحقق سعادة الفرد ، وسعادة الاسرة ، وسعادة المجتمع ، لذا فنيّ غيابهما ، أو غياب أحدهما ، أو فك التلازم بينهما ، فتتولى كل جهة مايهمها وتهمل الجانب الآخر ،

فيعني ذلك التعاسة والشقاء الأكيد نحكم بهما على أنفسنا . هذه مذاهب الفصل بين التربية والتعليم ، أي بين الدين والعلم ، التي أعلت من شأن التعليم ، وأبرزت أهميته ، وأهملت التربية ، وأوهنت من دورها ، ترينا قطوفا من جناها . وترينا بكل وضوح مافعلت بالفرد ، ومافعلت بالاسرة ، ومافعلت بالمجتمع . هاهي ضحاياها ، وأشلاء قتلاها في كل مكان .

إن إقصاء الدين عن ميدان التعليم ، والفصل بينهما في التلقين كان خطأً كبيراً ، وان محاولات الترقيع لم تسمن ولم تغن من جوع .

هذا رسول الله ﷺ ، وهو قدوتنا ، جاءه التكليف من رب العالمين بأن يكون المربي والمعلّم ، وآيات التكليف كلها تشير الى ذلك :

﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ ﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ .

وقد قام الرسول ﷺ بناء على هذا التكليف بالتنفيذ . بدأ بالتربية أي بتزكية النفوس وذلك بتطهيرها من الشرك والمعتقدات الفاسدة ، واعدادها روحيا لتكون على استعداد لتقبل تشريع الاحكام بلا تردد او اعتراض .

والقرآن الكريم هو كتاب تربية وتعليم ، انه خطة كاملة لتزكية النفس ثم تزويدها بما تحتاج اليه من معارف الحياة جملة أو

تفصيلا . فهناك آيات التربية تعمل عملها في النفس سواء وردت بالترغيب أو بالترهيب . وهناك آيات التعليم تعليم الاحكام وغيرها من شؤون الانسان ، ولكن يلاحظ أن بعض الآيات قد جمعت التربية مع التعليم . مثال ذلك ماورد في سورة الحديد :

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ .

هذا التلازم بين التربية والتعليم في كتاب الله وفي آية واحدة يضع بين أيدينا الدليل على أنهما كيان واحد ، ونستدل على ذلك أيضا من النظر الى حقيقة التربية والتعليم والمهمة التي يقوم بها كل منهما فندرك هذا التلازم وضرورته ، والارتباط بينهما واهميته ، الذي يجعل كل واحد منهما مكمل للآخر وقائم به .

فالتربية وهي بناء الشخصية المسلمة تعني بتهذيب سلوك الانسان وضبط ميوله ورغباته أي أنها تعد الانسان للحياة اعدادا سليما ليقيم مجتمعا سليما .

أما التعليم وهو تزويد الانسان بالمعارف اللازمة عن الأشياء المحيطة به في هذا العالم وتزويد الانسان بالطاقة التي بها يتعرف على العالم وعلى الحياة . أي على أسرار الكون وأسرار الحياة ، والتي تضعه في الطريق الموصلة الى صانع هذا الكون وخالق الحياة ، ليتعرف عليه ويؤدي واجب الشكر اليه .

إذن التربية كما أوضحناها لابد منها لكل من يريد التعرف على العالم وعلى الحياة بصورة سليمة ، وبنظرة صحيحة .

وفي عبارة أخرى يمكن القول : إن التربية هي إعداد الفرد للتلقي ، لتلقي المعرفة عن هذا الكون الذي يريد أن يتسلم مفاتحه . كيف يعيش فيه ؟ واذا ماحصل على شيئ من هذه المعرفة عرف أين محلها ، وكيف يستخدمها بصورة تنسجم وتتوافق مع الكون الذي عرف السبيل اليه . وعرف الطريقة التي يتجاوب بها معه . وبذلك يرتاح الانسان في معارفه ، كما يرتاح الكون من تخبط الانسان ، والافساد فيه .

وبناء على ما سبق يكون اجتماع التربية والتعليم في مدرسة أو معهد أو جامعة خير سبيل لبناء جيل واعداد أمة وتنشئة قادة وصنع رجال . ويكون انفصامها وانفصالها في مدرسة أو معهد أو جامعة شر لا تحمد عقباه ، في ضياع هوية الأمة وفقدان شخصية افرادها ، وذهاب ريحها ، ولننظر ما نحن عليه اليوم ، الامة العربية بصورة خاصة والامة الاسلامية بوجه عام .

ولذا نستطيع أن نؤكد أن التربية والتعليم في المنهج الاسلامي امران متلازمان وان تلازمها هذا على غاية من الاهمية ، بحيث لا يتصور بينهما انفصالا ، ولكن واقع المنهج الحالي على خلاف ذلك .

وهذا يكشف لنا مدى اختلاف المنهج الاسلامي في التربية والتعليم عن المنهج الحالي المعمول به في البلدان الاسلامية المستورد والمقتبس عن مناهج التعليم غير الاسلامية في الدول الاوربية . لاننا نلحظ ان هذا المنهج المستورد وإن أُلبس ثوب المواطنة للبلد فقد بقي محافظا على طابعه الأساسي وهو كونه منهج تعليم فقط ، لا يقيم وزنا

للتربية ، كما لا يحرص على التلازم بين التربية والتعليم . اذ هو الذي عمل على التفريق بينهما أولا ، ثم باهمال التربية ثانيا والاهتمام بجانب التعليم والاقتصار عليه ثالثا . فجاء التعليم مشوها كما نراه اليوم بصورته المشوهة ، ومنه توالدت هذه الاجيال المشوهة في معارفها ، الملوثة في اخلاقها ، ومن هذه الاجيال تمت ولادة هذا المجتمع الأبتر عن منابع المعرفة السليمة ، وينابيع السلوك النظيفة . لقد قطع كل سبب يصله بخلق أو بدين أو بتاريخ لهذه الامة .

الاختلاف بين المنهجين لا محيص عنه ما دام المنهج الاسلامي قائما على اصل متين هو وحي السماء والذي يعني بذلك انه منهج لا ينفك عن الدين ومصادره في المعرفة والتي هي نفسها مصادر المنهج في التربية والتعليم . اما المنهج الحالي المستورد والتي أخذت عنه البلدان الاسلامية مناهجها في التعليم وجعلته قدوة لها وإماما ، فهو منهج قائم على اصل من وحي البشر أنفسهم ، منهج يقطع كل رابطة تربطه بالدين والاخلاق ولذلك فالتعليم فيه يسير في اتجاه يغاير اتجاه الدين ، بل يصادمه في كثير من النقاط ويعارضه ، إنه يعلي جانب التعليم على التربية ليطغىٰ عليها ويعدم وجودها أو يكاد .

وإذن فلا لقاء بين المنهجين ، والاختلاف في المصدر يعتبر إختلافا أساسيا ، فالمنهج الاسلام طالما أن مصدره الدين ، يختلف كل الاختلاف عن المنهج الحالي ، الاجنبي الأصل ، وبمصدره الوضعي الانفصالي الذي لا يعترف بالدين اساسا ومصدرا . وهذا يؤدي إلىٰ خلاف آخر هو الازدواجية أي ازدواجية حياة الانسان بسبب الفصل والتفريق بين التربية والتعليم . فحيث تنعدم هذه

الازدواجية في المنهج الاسلامي الذي يقوم على وحدة النظر إلىٰ الحياة لوحدة الطريق ، ووحدة السلوك الانساني الذي يأخذ به أتباعه في الحياة عامة . نرىٰ المنهج الاجنبي غير الاسلامي يقوم على ثنائية النظر إلىٰ الحياة وازدواجية السلوك الانساني هذا المنهج الذي أخذنا عنه في مناهجنا واتبعناه ، فغدا الانسان في المجتمع المسلم كالانسان في المجتمع الاجنبي أمام نظرتين للحياة :

ـ نظرة تسمىٰ المنهج العلمي ، والحياة المدنية مستقلة وبعيدة عن الدين ، ترسم للانسان سلوكا معينا وتطبعه بطابع خاص .

ـ ونظرة تسمىٰ الدين الذي يضع الانسان أمام سلوك آخر مخالف لما عاش عليه وسط المجتمع الذي يسوده ويحكمه المنهج العلمي وما يسمىٰ بالحياة المدنية .

لقد وضع هذا المنهج الانفصالي المشوه كل من نشأ في ظله وتربى على يديه في دوامة الحيرة والاضطراب في حياته ، حين اراد التوفيق والتنسيق بين الحياتين ، الحياة وسط المجتمع ومظاهر البعد عن الدين في كل تعامل ، والحياة في بيئة الدين ، وما يسمعه هناك من المواعظ التي توقظ الروح وتحرك المشاعر. جعل البعض منهم يرىٰ انه يستحيل التوفيق بين الحياتين وليس أمامه إلا أن يختار أحد المنهجين ويرجح إحدىٰ الطريقين ، إما الدنيا وعند ذلك يجب أن لا يضع نصب عينيه كلمة حلال وحرام ، لابد أن يغمض العين عن هذا فهذا طريق الدنيا . وإما الدين ، وعند ذلك عليه أن يهجر الدنيا ، فيهجر التجارة ويهجر التعامل مع الناس ويهجر كل تعامل تقوم عليه حياة الناس ليسلم من المعصية ويبرأ من الاثم .

المجتمع الأوربي وكل مجتمع سار علىٰ نهجه في التعليم ، فيه اتجاهان متعارضان يتجاذبان الانسان في حياته ، هذا يشده إلىٰ صف ، وذاك يشده الى الصف المقابل فكيف يتسنىٰ للانسان التوفيق بين هذين السلوكين والسير في الاتجاهين وكل اتجاه يناقض الآخر ويعارضه .

إن منهج الحياة الازدواجية ، لا شك أنه يتعب الانسان ، ويفسد حياته ويقلقه . بينما المنهج الموحد ، يريح الانسان ، ويصلح حياته ، ويدعوه إلىٰ الاستقرار والاطمئنان .

وفي الفصول التالية سوف نرىٰ باذن الله ما بين المنهجين من تفاوت بعد الكلام عن المنهج الاسلامي في التربية ، وفي التعليم ، لتكتمل الصورة لدينا . ونحدد الموقف من المنهجين ، وذلك حسب الترتيب التالي :

الفصل الاول : المنهج الاسلامي في التربية : طبيعته وخصائصه .
الفصل الثاني : المنهج الاسلامي في التعليم . طبيعته وخصائصه .
الفصل الثالث : المنهج التعليمي الحالي في البلدان الاسلامية ومفاسده .

الفصل الاول

المنهج الاسلامي في التربية ، طبيعته وخصائصه

المبحث الاول : تعريف التربية الاسلامية

المبحث الثاني : موضوع التربية الاسلامية

المبحث الثالث : طبيعة التربية الاسلامية

المبحث الرابع : خصائص التربية الاسلامية



تمهيد

الانسان منذ ولادته ينمو فلا يقف نموه لحظة يكبر في جسمه وفي حواسه ، وفي عقله ، وفي روحه . ولكن هذا المولود إذا ترك دون رعاية لنموه هذا ، نما وكبر ولكن نمواً عليلا مشوها ، لا يصلح لان يكون عضوا في المجتمع الانساني المسلم .

ويختلف التشويه بحسب الاهمال الحاصل ، والناحية التي تعرضت للاهمال هي التي يحصل لها هذا التشويه .

فاذا كان الاهمال في الجسم بدا الجسم هزيلا ضعيفا مشوها في اعضائه .

واذا كان الاهمال في حواسه نشأ الانسان ضعيف الادراك للحياة لضعف هذه الحواس ، وقد يفقد بعضها بسبب هذا الاهمال فيفقد بفقدها الاحساس السليم بالحياة .

واذا كان الاهمال في عقله نشأ أميا جاهلا ، ضخم الجسم ، هزيل الفكر ، ضعيف الاحساس سيئ التصرف ، فيكون وبالا على نفسه ، عالة على مجتمعه .

واذا كان الاهمال في روحه ، خلته ميت الاحياء ، ورأيته مادي التكوين ، جاف الطباع أناني النزعة ، حيواني الشهوة . وهنا يكمن الخطر . لأن الناس في الغالب ترعىٰ الناحية الجسدية وتوليها من

العناية أكثر مما تستحق ، ولا يهمل في ذلك الا القليل . ولكن الاهمال الذي نشاهده هو إهمال العقل والروح ، والاهمال في التربية الروحية أشد ، حيث فقدت أهميتها عند الناس لما أن فتنهم منهج التعليم الاجنبي إذ فاء الناس الىٰ التعليم ، وبدأ الاهتمام به يزداد لما أحس الناس بفائدته الدنيوية وبقيت التربية الروحية مهملة بل ازداد اهمالها وتجاهلها .

ان ما يعتري الانسان من نقص ، أو تشويه في عضو من أعضائه ، أو حاسة من حواسه . وما يصاب به كذلك من نقص في عقله ، أو هزال في روحه بسبب هذا الاهمال ، يعتبر خطرا على حياة الانسان نفسه ، وعلى مستقبل المجتمع الذي ينتمي اليه . وهذه أحوال الامم وتقلباتها على مدار التاريخ الىٰ اليوم من ركود الى نهوض ورقي وعلو ، ومن رقي الى ركود ثم هبوط أسفل سافلين ، يبصرنا بالحقيقة ويكشف لنا عن العامل الاول والاساسي في نهوض الامم ورفعتها ، وكذلك العامل الاول والاساسي في هبوطها وتقهقرها . لنقرأ صفحات التاريخ لكل أمة ايام ركودها وايام عزها وسؤددها لنجد انفسنا امام جواب وحيد يقول : انه التربية . واذا كان للتعليم دوره ، إلا أن التربية هي العامل الأول والأوحد في الحكم على مصير أمة من الأمم . فنهوض الأمة سببه الأخذ بالتربية السلوكية لابنائها ، حيث يشتد بهم ساعدها للنهوض على قدميها . وانهيار أمة من الامم سببه اهمال التربية والتنكر لها .

انظر الى الامة العربية بصورة خاصة ، والى الامة الاسلامية بصورة عامة ، تحاول النهوض وتحاول ولكن بعيدا عن التربية

الاسلامية ، أي بعيدا عن تربيتها الروحية فنجد أنها عبثا تحاول . وأنه لن تقوم لها قائمة بعيدا عن هذه التربية .

والتربية ليست واحدة في جميع الامم ، فهي تختلف باختلاف الامم وما تراه كل أمة أنه الأفضل والأحسن ، لكن التربية المثلىٰ ما كانت إنسانية حقا تسوق الانسان ليكون إنسانا بروحه ، كما هو إنسان بجسمه ، وليكون إنسانا بعقله ونزواته .

فما حقيقة التربية في المنهج الاسلامي ؟ والىٰ أي سبيل تسوق الانسان المسلم ؟! وهذا يسوقنا الى الكلام في المواضيع التالية :

تعريف التربية ــ موضوع التربية ــ طبيعة التربية ــ خصائص التربية . .

المبحث الاول

تعريف التربية الاسلامية

اولا : التربية لغة : لمعرفة الشيْ وايضاح حقيقته لابد من الاستعانة بمدلول التسمية في اللغة فكثيرا ما يرشد هذا المدلول الى الحقيقة عند التقاء المدلول اللغوي مع المدلول الاصطلاحي أو تقاربهما .

جاء في مختار الصحاح :

ربا الشيْ ــ يربو ــ ربواً : زاد . والرابية ــ الربو : وهو ما ارتفع من الارض ورَبَوْتُ ــ وربيتُ في بني فلان : نشأت .

ربَّيته ــ تربية ــ وتَرَبَّيْتُهُ : غذوته .

وهذا لكل ما ينمىٰ كالولد ، والزرع وغيره .

وجاء في معجم الفاظ القرآن الكريم :

ربَّ الشيءُ ، يربه ، رباً : رباه ورعاه ليبلغه كماله .

وربا الشيءُ ، يربو ، رُبُواً ، ورباءً : زاد ونما .

وربا في حجره ، يربو ، ربواً ، وربواً : نشأ . وربا في بني فلان : نشأ فيهم . ورباه ، تربية : نماه ونشأه .

ان هذه المعاني المتعددة لكلمة التربية ، تحمل مدلولات متقاربة كلها تفيد معنىً واحدا هو التنمية ، أو التغذية أو التنشئة ، أو الرعاية . وهذه المعاني تفسر لنا عملية التربية ، بأنها العملية التي تهدف إكساب المربيٰ الزيادة ، سواء في الجسم أو في الروح ، أو في العقل . وتستمر منذ الولادة حتي يبلغ درجة الكمال ، وقد ترافق الانسان طيلة حياته .

ثانيا : التربية اصطلاحا : يساير المدلول الاصطلاحي للكلمة مدلوله اللغوي في غالب الأحوال ، فتستعمل كلمة التربية اصطلاحا ، بنفس المعنىٰ المستعمل لغة ، وهو التغذية والنماء سواء للجسم فيقال : التربية البدنية ، والتربية الصحية ، أو للجسم والروح معا فيقال : التربية الدينية والتربية الخلقية ، والتربية النفسية . ويبدو هذا التوافق أيضا في تعاريف التربية فهذه التعاريف مع اختلافها في بعض العبارات والمدلولات ، فانها تتفق على أن الكلمة تستعمل بمعنىٰ التغذية والنماء المادي والمعنوي ، يتضح ذلك من التعاريف التي نوردها لكلمة التربية :

١ ـ **التربية** : هي تنمية ملكات الانسان وتزويده بالطريقة الأفضل للحياة في المجتمع الانساني .

٢ ـ **التربية** : هي بناء الشخصية الانسانية وتمكينها من

الاسلوب الأفضل لاتصالها بالحياة والتعامل معها بنجاح .

٣ ـ **التربية** : هي العمل على اضطراد نمو الانسان جسما وروحا الى أن يصل مرحلة الوعي والادراك لشؤون الحياة .

٤ ـ **التربية** : هي تنظيم السلوك الانساني وسط الحياة الاجتماعية وتنميته بحيث يحقق الانسجام التام مع هذه الحياة .

٥ ـ **التربية** : هي إعداد وتقويم للانسان في مراحل تكوينه وتكامله ليقطع مسار الحياة على أحسن حال .

٦ ـ **التربية** : هي مجموعة السلوك التي رأتها أمة من الامم أنها جديرة بأن تأخذ بها أجيالها الناشئة وهي في طريقها الى الحياة .

ومن منهج التربية والتعليم الاسلامي نستقي هذا التعريف :

٧ ـ **التربية** : هي اتباع الطرق الحكيمة لغرس مجموعة السلوك المستمدة من أصول الشريعة التي اعتمدها فقهاء الاسلام ورأوا ضرورتها لاعداد النشئ المسلم .

٨ ـ **وتعريف آخر** : هي الأخذ بيد الانسان منذ بدء حياته ليكون انسانا في سلوكه مع ربه ومع نفسه ، ومع الحياة كلها .

٩ ـ **وتعريف ثالث يقول** : هي الاعداد للحياة وسط المجتمع الانساني بالسلوك الاسلامي .

من التعريفات التي استقيناها من المنهج نرىٰ الأخذ بالتعريف الأخير لما يمتاز به عن سائر التعاريف الأخرى كونه عاما شاملا كاملا .

ـ **فهو عام** : لان الاعداد للحياة وسط المجتمع الانساني كله لا المجتمع الاقليمي أو الوطني الضيق .

ـ **وهو شامل** : أي يشمل حياة الانسان كلها ، حيث الاعداد للحياة يشمل كل المتطلبات الانسانية التي يحتاجها الانسان ليبقى انسانا ويحافظ على انسانيته ويلتزم بها .

ـ **وهو كامل** : كونه بالسلوك الاسلامي الذي يتناول سائر العلاقات التي قد يرتبط بها انسان في حياته ، فارتباطه مع ربه وارتباطه بنفسه أو ارتباطه مع الحياة هو ما يتناوله السلوك الاسلامي ، كما يتناول الحياة الانسانية بكاملها الدنيا والآخرة ، المادة والروح ، عالم الغيب وعالم الشهادة .

بعد هذا البيان لمعنى التربية ، اذا تأملنا الشرع الاسلامي نراه يحمل منهجا في التربية لا يوجد مثيله في العالم أجمع بالنظر الى التعميم والشمول الذي يأخذ به ويعالج موضوعه وهو الانسان ، فلا يهمل جانبا من جوانبه المتعددة ولا ينمي ناحية على حساب أخرى كما هو الحال في المناهج الاجنبية حيث يأخذ بعضها الجسم ، مهملا الروح بالكلية ويعنى بعضها بالروح ، ليسقط الجسم من الحساب .

المبحث الثاني
موضوع التربية الاسلامية

موضوع التربية الاسلامية هو الانسان . الانسان كاملا ، أي تعالج كله ، جسمه وروحه وعقله ، كما تنظر اليه في حياته كلها أي تنظر اليه وهو يعبر الحياة الدنيا الى الآخرة فتحفل بتلك الحياة وتنظم سلوك الانسان استعدادا لها ، وتزوده بما يجعله ويؤهله للانتقال اليها

بارتياح .

واذا كان موضوع التربية هو الانسان ، فانما يعني الانسان في نموه مع الحياة ونمو مواهبه ليطرق ابواب الحياة ، وليست التربية التي تقصيه عن الحياة أو التي تجعله في معزل عنها . وتعني كذلك التربية التي تربي الجسم والروح معا للحياة فلا تفصل بينهما وهي كذلك التي تصحب الانسان منذ قدومه الى الحياة ، فلا تفارقه حتي عندما يقف على قدميه ليدخل المجتمع عضوا كاملا فيه ، فتكون معه ، تعطيه في كل لحظة من لحظات الحياة ماهو الافضل لقطع هذه المرحلة من الحياة .

وهي التربية التي تدنيه من ربه وتقرب بينهما فتصل العبد بسيده ، وتربط ذلك المخلوق بخالقه سبحانه .

وهي التربية التي تعد الانسان ، اذا ما أزف موعد الرحيل الى المرحلة الأخيرة من رواية الحياة ، وهو في منتهىٰ الرضا والطمأنينة . فالقبر روضة من رياض الجنة ومنتهاه الجنة . والمربي الذي تتم على يديه وتحت اشرافه عملية التربية ، هو الانسان الذي يعهد اليه برعاية مجموعة من بني جنسه ، فيأخذ على عاتقه القيام برعايتهم ، والسير بهم رويدا رويدا حتىٰ يصل بهم الى مرحلة التمييز والادراك ، ويبلغوا سن الرشد والكمال .

إذن الذي يقوم بالتربية هو كذلك الانسان على اختلاف صلته بمن يقوم بتربيته ، فقد يكون المربي هو الأب في الاسرة ، أو يكون معلم الحرفة ، أو المعلم في المسجد أو المدرسة . فالانسان يتلقىٰ التربية في أحد هذه المواطن ، البيت أو المسجد أو المدرسة أو مكان

العمل ، حيث يتلقىٰ مع التدريب على المهنة ، كيف يكون سلوكه في الحياة وكيف يتعامل مع الزبائن .

في هذه الأماكن تتبلور حياة الانسان . ويتحدد اتجاهه ، ويأخذ منها مفاتيح حياته ، ويستدل على الابواب .

المبحث الثالث
طبيعة التربية الاسلامية

في مقدمة الباب تكلمنا عن التربية الاسلامية ، وقلنا إنها تعتني بميول الانسان ورغباته ، وتعمل علىٰ إعداده للحياة إعدادا مستقيما سليما شاملا ، بحيث إذا تحصل علىٰ معارف الحياة ، واستخدم موجودات هذا الكون وطاقاته ، عرف كيف يصرفها بحكمة وبما ينسجم مع الحياة . وفي الوقت نفسه يخدم الناس ، وينفع الناس ، ويرضي كذلك صانعها رب الناس ، الذي خلقها وسخرها للناس . إذن لا اصطدام مع الحياة ، ولا صراع مع الطبيعة .

بهذا الفهم يتصور المسلم معنىٰ التربية ومفهوم التربية ، والمقصود منها . ويدرك تماما دورها العظيم في الاعداد للحياة . إنها أشبه بأدوات السباحة ومعداتها لمن يريد أن يعبر المحيط . وبذلك تأتي منسجمة مع عقيدته التي آمن بها ، وأسلم نفسه إليها فأيما تعارض ينشأ بين عقيدة الانسان وتربية سلوكه في الحياة دمر الانسان ودمر الحياة . من أجل ذلك أشرنا في مقدمة الباب أن التلازم بين التربية والتعليم ضروري جدا في المنهج الاسلامي ، لتحقيق هذا الانسجام . ولكي تهيمن التربية على التعليم فتعقله ،

وتبقيه على الطريق السوية فلا يند فيخرب ويدمر.

وهكذا تبرز من خلال ما سبق الطبيعة الحقيقية للتربية الاسلامية. وهي الطبيعة الدينية، أي أنها تستمد اصولها من الدين، وتعتمد بكل تعاليمها وتوجيهاتها على رأي الدين.

هذه الطبيعة التي تعتبر في نظر المسلم، وفي نظر منهج التربية والتعليم الاسلامي سمة بارزة، يحاول المنهج أن يجعلها علامة فارقة، لتمييزه عن سائر المناهج التي تحاول أن تتخلص من كل علاقة دينية، وأن تفك كل رابطة تربطها بالدين، وترى في ذلك فكرا وتقدما وصوابا.

هذه الطبيعة التي تجعل المسلم أكثر تمسكا بتوجيهات منهج التربية، وأشد إخلاصا له، لأن هذه الطبيعة تزرع في قلبه محبة الله، ومحبة الرسول، وتقيمه على كتاب الله وسنة الرسول، حيث يستروح في ظلها عبيرة الحياة، ويطل من خلالها على جنات الخلود.

هذه الطبيعة التي تجعل المنهج الاسلامي يضاهي بها المناهج غير الاسلامية ويفاخر. إنها ميزة استعلاء على كافة المناهج، إنه بهذه الطبيعة يعتبر أقدر المناهج على تحقيق الاستقرار النفسي للانسان، وعلى تزويده بالسلوك الذي يلائم الحياة، ويرضي رب الحياة، وبذلك يحقق للانسان حاجاته المادية والروحية.

ان التربية الاسلامية بهذه الطبيعة تعمل على بناء الشخصية الانسانية في الانسان ليكون على أهبة الاستعداد لتلقي العلوم، أي معارف الكون على اختلافها، بالنظرة الانسانية التي انطبعت

مشاعره وأحاسيسه بها . وليس كما يظن بأن التربية الدينية إبعاد الانسان عن الحياة ، وعن علوم الحياة ، واذا حصل مثل هذا في التربية الدينية غير الاسلامية ، فانه لا يحصل أبدا في منهج التربية الاسلامية ، وقد رأينا عموم وشمول هذه التربية . وعلمنا أن غرضها إعداد الانسان للحياة الاعداد بالنظرة الانسانية ، مخالفة بذلك المناهج غير الاسلامية ، ذات الفكرة القومية والنظرة المادية ، والتي قامت بناء عليها التربية القومية والتربية الوطنية .

انصت الى القرآن الكريم يردد على مسامع الناس جميعا نداءه :

﴿يآ أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ (النساء ١) **﴿يآ أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثىٰ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير﴾**(الحجرات ١٣)

مؤكدا هذه النظرة الانسانية التي يحملها منهاج التربية الاسلامي الذي استمدها بدوره من هذا الأصل .

إذن للطبيعة الدينية شأنها واعتبارها في منهج التربية الاسلامي ، وهي موضع افتخاره واعتزازه .

ولئن شاعت النظرة المادية في المناهج الاجنبية ، ومنها المناهج التي أخذت بها بلادنا ، حتىٰ عمت وطغت ، فجعلت الانسان من انتاجها لا يسمع ولا يردد إلا نغمات القومية ، والشعارات الوطنية ، والافكار المادية ، لانها هي التي يتردد صداها في كل من

التربية والتعليم . فان النظرية التي حملها المسلم ، بعد أن تشبع بالتربية الاسلامية جعلت منه عالما انسانيا ، يسعىٰ لخدمة الانسانية ، وحمل هم الانسانية .

والطبيعة الدينية تعتبر مزية كبرىٰ للتربية الاسلامية ، فهي التي تضفي عليها طابع الكمال وتجعلها :

١ ـ تحمل أصدق تعبير عن الحياة ومفاهيم الحياة ، ولذلك تعطي الانسان السلوك الافضل وتدله علىٰ الطريق الامثل ، للتفاعل مع الحياة .

٢ ـ يكون لها دور ايجابي في تكوين الشخصية الانسانية ، واعداد الانسان للحياة وتلقي معارف الحياة .

٣ ـ انسانية النزعة : حيث تعنىٰ بالانسان أينما كان رحمة للعالمين . وتعنىٰ بالانسان كفرد ، والانسان كعضو في الاسرة أو في المجتمع . فلا تفرط بالانسان الفرد لصالح المجتمع ولا بالمجتمع لصالح الفرد . أي أن نظرتها ليست ذات نزعة فردية . تعلي من شأن الفرد على حساب المجتمع ولا ذات نزعة جماعية تعلي من شأن الجماعة علىٰ حساب الفرد . مادام منطلقها أن كل شيء في هذه الحياة للانسان ، فيجب أن يعد له ، وييسر السبيل إليه .

٤ ـ تعد الانسان لأن يتلقىٰ معارف الحياة بالنظرة الانسانية ، هذه النظرة التي تجعل الكل يعمل لخير الكل ، وتنفي تلك النظرة المادية التي أخذت بها المناهج غير الاسلامية وشاعت وسادت في مجتمعاتها .

٥ ـ تجعل من هذا الانسان عالما انسانيا ، يسعىٰ لخدمة

الانسان ، وحمل هم الانسانية . ليس ساعيا وراء المادة فكرا وهدفا ، كما هي عليه المجتمعات الاوربية ، ومن سار علىٰ نهجها .

٦ ـ تنظر إلىٰ الكون كله انه مسخر للانسان ، طيع له ، يقوم بخدمته طالما أن كل شيء فيه هو له ، معد للانتفاع به . والتسخير إرادي آت عن طواعية ، وليس عن قهر وغلبة كما يزعم الماديون .

٧ ـ تقوم علىٰ الحب وتحمل رسالة الالفة والصداقة بين الانسان وسائر المخلوقات من حوله حتىٰ الجمادات ، فتضفي علىٰ الحياة كلها طابع الانس والوئام ، طالما أن التسخير إرادي وانه ارادة الخالق المدبر ، الذي خلق وسخر ، فلا خصام ولا قهر ولا عراك .

٨ ـ تربط الحياتين الدنيا والآخرة ، وتصل بينهما ، لأن خطة التربية الانسانية تعم الحياتين انها خطة واحدة عامة شاملة ، تتضمن تأهيل الانسان لدخول الحياة الدنيا ، وكذلك وبنفس الوقت تأهيل الانسان لدخول الحياة الآخرة .

وهكذا نأتي علىٰ ختام هذا المبحث ، بعد أن عرفنا فيه أن التربية المثلىٰ هي بناء الشخصية الانسانية . ورأينا ما يمتلكه شرع الاسلام من منهج لتكوين الشخصية الانسانية ، وأنها شخصية الانسان المسلم الذي ينسجم في تصرفاته كلها مع قواعد الشريعة ، وتكون نزعاته ورغباته وميوله واتجاهاته منطبعة بها ، متمشية معها . إذ لابد أن يكون لكل عقيدة تربية خاصة ، ومنهج خاص تقيم أتباعها عليه . وأن الشريعة الاسلامية أولت التربية عناية كبرىٰ ، حتىٰ أنها جعلتها العامل الرئيسي لبناء الأمة ، وقيام الحضارة ، ولقد

كان الدور الاول الذي قام به الرسول ﷺ بعد البعثة هو دور التربية . لأن نظرة الشريعة للحياة ، أن من خلال تكوين الفرد المسلم يتم تكوين الأسرة المسلمة ، التي تحافظ علىٰ السلوك والعادات التي تربت عليها وينشأ تبعا لذلك المجتمع المسلم أو الأمة المسلمة .

المبحث الرابع
خصائص التربية الاسلامية

اذا نظرنا في أصول هذه التربية التي تشكل البنية الاساسية فيها ، نجد أنها وبحسب طبيعتها الدينية ، تنطلق من المنطلقين التاليين :

١ ـ الايمان بالله تعالى : العقيدة هي أول ما تغرسه التربية الاسلامية في الفرد ، ومنذ نعومة أظفاره ، بل منذ ولادته ، حيث قضىٰ رسول الله ﷺ ، أن نسمع الوليد صوت التوحيد ، فيؤذن في أذنه اليمني ، ثم الاقامة في أذنه اليسرىٰ . وتشمل تعريف الانسان بربه خالقه ورازقه ، ومصدر حياته وسعادته . فينشأ الانسان ومنذ البداية ، وقد آمن بالحقيقة الكبرىٰ في الكون التي تنبثق عنها كل الحقائق الأخرى . فالقضية الاولىٰ في منهج الاسلام ، والاهتمام الاول هو تعريف العباد برب العباد ، وتعريف الخلق بالخالق ، لان أصول هذه التربية تنبع في رحاب الدين ، وأن مصادرها هي مصادره .

٢ ـ تقويم النزعات والرغبات والميول : الانسان يحمل بين

جنبيه دوافع ورغبات تولد لديه ميلا موافقا لها . وأن هذه الدوافع والرغبات اذا تركت على حالها ، أقامت الانسان علىٰ مسلك يخالف إنسانيته ، ويساير أنانيته ونزعاته الحيوانية ، بما تحمله من الاثرة والحرص . أما إذا عولجت هذه الدوافع والرغبات وتم تقويمها ، استقامت ، فلا انحراف ولا اعوجاج ، ولا أثرة ولا أنانية ، بل سلوك قويم على صراط مستقيم .

من هذين المنطلقين تنبثق خصائص المنهج الاسلامي في التربية ويمكن جمعها في الاسس التالية :

أولا : ربط الانسان بخالقه سبحانه وتعالى :

عرفنا أن أول ما يعنى به هذا المنهج هو غرس العقيدة الاسلامية وتتمثل في الايمان بالله وحده لا شريك له ، وأنه الخالق الرازق ، المالك الذي بيده كل شيءٔ وهو علىٰ كل شيءٔ قدير . وهذا الايمان هو الأساس الأول ، والمنطلق لحياة المسلم علىٰ وجه الأرض . حياة متصلة السبب بخالق الكون ، ومالكه ، ومدبر شؤونه . ليعرف كيف يكون السلوك نحوه ، وكيف يتم الاتصال به . وندرك أهمية هذا الاساس بضرب هذا المثل :

انسان وجد نفسه يعيش في قصر منيف ، ولكنه لا يعرف من الذي أقام هذا القصر؟ ومن الذي وضع فيه كل أسباب الحياة؟ ولا يدري من الذي أقام نظامه ، وأمده بوسائل المتعة والراحة للسكان . وفي الوقت نفسه لا يعرف ما هذا النظام الذي علىٰ كل مقيم في هذا القصر أن يلتزم به .

لنتصور كيف تكون حياة هذا الانسان ، في وسط لا يعرف لمن

يكون ولاؤه إليه ـ ولا المسؤول عن هذا القصر للاتصال به اذا اقتضىّ الامر. ولا يسأل عن نظام الحياة فيه ولا يبالي .

لا شك أن حياة مثل هذا الانسان تكون في قلق واضطراب . انه سيعبث في موجودات القصر لا محالة وفي نظامه . وتمر الايام وقد ارتكب ما ارتكب من مخالفات ، وتراكمت عليه الاعباء ، واثقلته الديون ، وعجز عن الوفاء وأداء الحقوق . وفجأة يتسلم الانذار بأن مدة إقامته قد انتهت ، وعليه بالرحيل ثم يعلم انه كان مراقبا من قبل حراس القصر ، ويهم بالرحيل على عجل لعله يفلت من الحساب ، ولكن يتلقاه رب القصر لدىٰ الباب ، وجها لوجه ، مطالبا الحساب .

انه موقف عصيب ، كيف يسدد هذا الانسان ما عليه من ديون ؟ وكيف يسوي ما ارتكب من مخالفات وقد فات الأوان . طبعا لا يجد ما يقدم ، وهنا يقع في الحيرة ، وهو يتطلع الىٰ سبيل للخلاص ، ويتلمس طريقا للنجاة ، فلا يجد ، ويعتريه الندم علىٰ ما فرط ولكن لات ساعة مندم .

إن هذا مثل من يعيش بعيدا عن منهج الله رب السماوات والارض وما بينهما ، يعبث في ملك الله بغير حق . ويرتكب المخالفات ، فما مصيره يا ترىٰ عندما يقف بين يدي جبار السماوات ؟؟

وفي الصورة المقابلة ، الانسان الذي يعيش في ظلال التربية الاسلامية ، يعيش آمنا مطمئنا غاية الاطمئنان . وكيف لا يطمئن وينام مستريح البال ، وقد عرف صاحب هذا الكون الذي يقيم

فيه . فآمن بوجوده ، واهتدىٰ بهديه ، وخضع لنظامه . وعرف أنه مصدر نعمته وسعادته . فتوجه إليه بالطلب . وتقدم اليه بالشكر . ومن ثم عرف النظام الذي ارتضاه للكون فأطاع ولم يعرض نفسه لمخالفة .

بذلك ندرك قيمة هذا الأساس وأهميته في حياة الانسان ، لندرك مدى اهتمام منهج التربية الاسلامية به . وندرك مدى بعد المناهج غير الاسلامية عن هذا الواقع الذي يمثل الحقيقة الكبرى باجلىٰ صورها . والذي يعبر عن طبيعة هذا المنهج الدينية ، هذه الطبيعة التي تلازمه فلا تنفك عنه في أي مرحلة من مراحل السير بالانسان في معترك الحياة .

ثانيا : ربط الانسان بمصدر سلوكه (نظام الحياة) :

كذلك يهتم المنهج بربط الانسان بنظام الحياة الذي عليه أن يتبعه ، ويقيم حياته عليه ، وينظم بموجبه علاقاته مع خالقه ، فالسلوك أو نظام الحياة ، نظام كامل مرسل من رب الناس الىٰ الناس ، ينظم علاقات الانسان كلها ، ويبين له علىٰ أي صورة تكون . يبدأ في تحديد العلاقة مع الخالق ، ثم مع الناس ، ومع النبات والحيوان والجماد ، أي مع الكون الذي يعيش فيه . ثم مع الحياة الآخرة التي سيؤول اليها حسبما يقتضيه هذا النظام ، حتىٰ يصل بالانسان المسلم الىٰ مرحلة اليقين بأن هذا النظام هو النظام الامثل لضمان سعادته ، وضمان سعادة الناس من حوله ، وأنه ليس في الكون نظام آخر يحل محله .

وبناء على هذه التربية ، يقيم الانسان حياته ، وحياة أسرته علىٰ

وفق ما يأمر به هذا النظام . ويعامل الناس في المجتمع أيضا بموجبه ، وينظر الىٰ الكون وهو يتعامل مع مافيه بهذه النظرة التي ربته وأفهمته علىٰ أن كل ما في الكون مسخر له ، ينتفع به بأذن من مالكه . وان عليه أن ينظر اليه هذه النظرة التي توحي بالأنس والمحبة . « أحد جبل يحبنا ونحبه » وأنه بما فيه في خدمة الانسان . وما الجهد الذي يبذله الانسان فيه لاستخراج منافعه إلا الطريق الذي رسمه مالكه « رب العالمين » لكسب منافعه . واذن فليست هذه الموجودات التي فيه عدوة الانسان ، أو مخاصمة له . وليس بينهما حرب وقهر ، بل إنه الود الخالص ، والوئام التام .

ثالثا : ربط الحياة الدنيا بالآخرة :

إن الايمان بالحياة الآخرة هو من الركائز الهامة لمنهج التربية الاسلامية ، حيث يساهم هذا الايمان في تهذيب سلوك الانسان في هذه الحياة . وينطلق هذا الاساس من منطلق اعطاء الانسان صورة متكاملة عن حياته كلها . فالانسان وهو يعيش في دنياه ، يصبح علىٰ علم بأن له حياة أخرى متصلة بهذه الحياة ، ومرتبطة بها ارتباطا وثيقا . وما أن تنتهي مدة الاقامة في هذه الحياة ، إلا وينتقل الى الحياة الآخرة انتقالا مباشرا . ويكون علىٰ علم أيضا أن عليه في هذه الحياة ، أن يتخذ كل الاستعدادات اللازمة له لاستقبال حياته الأخرى .

هذه التربية لابد أن تقيم الانسان علىٰ سلوك معين يختلف كل الاختلاف عن سلوك الانسان الذي لا يعرف عن الآخرة شيئا ، أو لا يؤمن بالحياة الآخرة أبدا ، فلا تكون في حسبانه . كيف يكون

سلوك هذا الانسان وهو يردد مع منكري البعث « إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا » . لا شك انه يختلف اختلافا كبيرا عن سلوك الانسان الذي يدخل في اعتباره الحياة الآخرة .

إن الانسان المسلم يحس بالاعباء التي يلتزم بها وبالواجبات التي عليه أن يقوم بها استعدادا لحياته الآخرة . بل إنه ليرى أن معظم جهوده وطاقاته يجب أن تصرف للاستعداد لتلك الحياة ، بعدما عرف حقيقة الحياتين . وعرف قيمة كل منهما ، ودورهما في تحقيق سعادته وضمانها . لقد عرف مقدار ما يعطي دنياه من وقته وجهده ، وما يستعد به لأخراه من عمره وجهده . متمثلا قول الله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ كل ذلك بفضل التربية التي ترعرع في ظلها هذا الانسان . كم تصلح هذه التربية من نزعاته وميوله عندما تعرفه بارتباط الحياتين ، وأن سعادته في آخرته متوقفة على طبيعة سلوكه في دنياه . كم يهذب هذا المنهج من سلوك الانسان ، ويصلح من شأنه ، وكم يوقف من جموح نفسه ، واغراء شهواته ، ويولد لديه المراقبة والمحاسبة . لذلك تراه يراقب سلوكه تمام المراقبة . يعكف علىٰ مراقبة نفسه بنفسه ، حتىٰ لا يقع في محظور يعكر عليه آخرته أو يؤثر فيها . وتراه يشتغل دوما بالمحاسبة ، محاسبة النفس ، ولومها اذا ما فرطت بشيءٍ ، أو خالفت امرا ثم العودة بها سريعا الى جادة الصواب .

رابعا : تنظيم الولاء :

بعد أن تعرف التربية الاسلامية الانسان بخالقه ، وتعرفه بنظام

حياته ، وتعرفه بالرسول الذي يحمل إليه هذا النظام من عند الله سبحانه ، تعمد الى تنظيم الولاء إليهم ويتم ذلك التنظيم كما يلي :

١ ــ الولاء لله سبحانه وتعالى :

الله سبحانه هو الخالق وهو الرازق وهو المحيي وهو المميت وهو علىٰ كل شيئ قدير . وهو المتصرف في الكون كله لا راد لحكمه ، يفعل ما يشاء ويختار لا معقب لارادته . هو رب الحياة الدنيا والحياة الآخرة . فكيف يكون سلوك الانسان مع ربه وسلطانه ممتد شامل الدنيا والآخرة ، لينال رضاه ويحظىٰ بالنعيم في جنات الخلد .

إن التربية الاسلامية عندما تقيم الانسان علىٰ الجادة ، وتعمل منذ البداية بتعريفه بربه وخالقه ، تعرفه كذلك كيف يتم السلوك معه ، والاتصال به . وعندما يعرف الانسان من هو؟ التزم بالسلوك الذي يقيمه عليه منهج التربية . إنه سلوك العبد مع ربه ومالكه ، مع موجده وولي نعمته واتصال العبد بسيده الكبير المتعال .

المنهج الاسلامي اضطلع بهذه المهمة فحدد للعبد وسائل الاتصال ، وأوقات الاتصال ، وبين كذلك كيفية الاتصال ، وأخذ يدربه علىٰ هذا الاتصال ، وكيف يسلك السبيل للوصول الى تمام الاتصال ، بحيث يستشعر القبول ويحس بالرضا .

واذا كان هذا المنهج يستحث الانسان ، ليسعىٰ جهده من أجل أن ينال مرضاة ربه بالتقوىٰ والعمل الصالح . فهو يستحثه كذلك ليدرك انه لابد لتحصيل الرضا من أن يعرف الانسان حقيقته تمام المعرفة ليقف عند حدودها . أن يعرف أنه العبد الفقير ،

وليس بالسيد المطاع ، صاحب السلطان والسنان . وأن يعرف أنه العبد المتذلل لربه ومالكه . ويتصرف عند ذلك علىٰ ضوء هذه المعرفة . أن يعرف أنه ليس له حتىٰ من أمر نفسه شيئا . فيسلم الأمر لصاحب الأمر وينصاع لحكمه ومشيئته ، وهكذا في كل أمر ، وفي كل حال .

٢ ــ الولاء للرسول ﷺ :

إن الولاء للرسول ﷺ هو الولاء لله سبحانه ، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله . ويتولىٰ المنهج تعريف الانسان بصاحب الرسالة التي آمن بها ، وخضع لنظامها ، كما يدله علىٰ ما جاء به . ويتم هذا الولاء :

(أ) بالتعرف علىٰ حياة الرسول ﷺ ، والتعرف علىٰ ماهية الرسالة التي حملها للناس .

(ب) بالتعرف علىٰ سنة الرسول ﷺ باعتبارها بيان للرسالة .

(جـ) بتنمية حب الرسول ﷺ والاقتداء به باعتباره الاسوة والقدوة لحياة المسلم في جميع جوانبها .

(د) باتباع الرسول ﷺ في كل ما جاءنا من قبله ، فاذا ما تربيٰ الانسان علىٰ هذا الولاء ، نشأ علىٰ طاعة الله ورسوله ، مقتفيا أثره في كل أمر من أمور حياته . وبذلك تنمو في حسه الرابطة الولائية والتبعية الروحية ، بحيث يشعر ويحس أن سعادته في ارتباطه بالرسول ﷺ ، وتعاليم الرسول ، وأن شقاوته بالخروج عليها ، والبعد عنها .

ولا شك أن معنىٰ الولاء لله ورسوله هو حتما الولاء للكتاب

والسنة .

خامسا : تنظيم السلوك :

يعتمد تنظيم السلوك في المنهج الاسلامي ، حيث يشكل لديه الغرض والنتيجة من هذه التربية ، علىٰ أمرين اثنين :

١ ـ تربية الميول والغرائز في الانسان :

إن تربية الميول والغرائز في الانسان عملية شاقة ، ولكن المنهج الاسلامي قد ذلل هذه الصعوبة بالاسلوب الحكيم الذي اتبعه في هذه التربية ، فدانت له النفس البشرية ، وانقادت لنظامه بسهولة ويسر .

لم يلجأ المنهج الى مصادمة ميول الانسان وغرائزه ، ولم يتنكر لدوافعه واحتياجاته ، بل راعىٰ كل متطلباته الاساسية ، فأقرها ودفع الانسان لاشباعها ولنا شاهد علىٰ ذلك قصة الرهط الذين جاءوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما عرفوها كأنهم تقالوها فقالوا : أين نحن من رسول الله وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وطلبا للثواب وابتغاء مرضاة الله قال احدهم : أما أنا فأقوم الليل كله فلا أرقد . وقال الثاني : وأما أنا فأصوم الدهر فلا أُفطر . وقال الثالث : وأما أنا فأعتزل النساء . كان هذا العزم منهم تقربا لله وطمعا في ثوابه والاخلاص في عبادته . إنه موقف حب وطاعة لله . فكيف كان موقف رسول الله ﷺ ؟ هل أقرهم علىٰ موقفهم هذا وهو موقف العبادة الذي يدعو الناس إليه ؟ نعلم من تمام الحديث أن الرسول ﷺ لما علم بمقالتهم دعاهم إليه واستطلع الأمر ، فلما تيقن من خبرهم وما عزموا عليه ، نهاهم عن المضي فيما عزموا عليه ، ثم

ضرب المثل بنفسه ليقتدوا به قائلا : أما إني أخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأقوم الليل وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني .

تأمل هذا البعد في أفق الرسول ﷺ . وتأمل في هذا الزجر لجماعة قصدهم الطاعة والقربىٰ والتسابق إلىٰ الخيرات . لقد رغبوا في العزوف عن الدنيا ، والاقبال علىٰ الطاعة ، والعمل للآخرة بالكلية ، فقد وهبوا حياتهم للعبادة فكيف كان الردع ؟ ولماذا ؟

انظر إلىٰ هذا الدفع بالانسان لاشباع ميوله وغرائزه ، وعدم حرمانه من التمتع بها ، ولو كان من أجل العبادة .

وانظر إلىٰ ميزان الحياة الذي يمسكه رسول الله بيده ، فيزن أمور الحياة كلها بالقسط ، فلا يطغىٰ جانب علىٰ آخر .

وانظر إلىٰ الفطرة الانسانية يقرها رسول الله بل يقررها ويرعاها ، لم يمنع غريزة ، ولم يحرم ميلا في الانسان ، بل يدفع إلىٰ ارووائها حلالا طيبا . حتىٰ إذا ما بلغت غايتها ، لم يترك الحبل علىٰ غاربه ، فتشتط في الارواء ، وتتمادىٰ في النهم .

هذا هو المنهج الاسلامي في التربية ، هو تنظيم إشباع الرغبات بشكل تستقيم معه الحياة ، وتحول دون الشذوذ أو ارتكاب ما سواه من الانحرافات .

فالميل الى الطعام جعله الاسلام أمرا بديهيا فطريا ، لا توجد فيه قيود ولا حدود إلا في نطاق ضيق . « قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما علىٰ طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به » .

لقد حصر المحرمات ، ليطلق ما عداها يأكل الانسان ما شاء دون أدنىٰ حرج أو حذر ، فالحل هو الاصل والتحريم هو الاستثناء .

وهذا شاهد آخر علىٰ الحل والاباحة من كتاب الله : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ الاعراف .

وكذلك الحال في الميل الىٰ الشراب ، حصر في نطاق ضيق للممنوع منه ، واطلاق لما عداه . حيث يتمتع الانسان بخيرات الدنيا ، وينعم برزق الله تعالىٰ بأمان .

والميل الىٰ التملك كذلك اعطي الانسان حظه منه وفق نظام يجعل الانسان مرتاحا متجاوبا مع هذا النظام ، بلا تعارض ولا محاولات التهرب حيث لا داع له .

والغريزة الجنسية كذلك ، فان تنظيم الاسلام لها ، جعلت الانسان لا يحس بتاتا بالضيق والحرج الذي يلاقيه في المناهج الاجنبية سواء بالمنع ، أو باطلاق العنان الىٰ حد الاعتداء علىٰ الأعراض واشاعة الفاحشة .

لقد يسر الاسلام سبل الزواج ، حتىٰ لم يترك أمام هذا الارتباط الشرعي الطاهر أي عائق يحول دونه مهما صغر . فالنبي يقول : « التمس ولو خاتما من حديد » وهذا كناية عن التيسير لابعد الحدود أمام طالب الزواج . فلم يدع مجالا لأحد أن ينظر الىٰ الحرام ، أو يفكر فيه ، ودونه أبواب الحلال مفتحة علىٰ مصراعيها .

٢ ـ التمسك بالاخلاق الفاضلة :

الاسلام أخلاق كله ، والرسول ﷺ يحدد الغرض من بعثته بقوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . والله سبحانه يمنح الرسول شهادة الأخلاق عندما يصفه : ﴿ **وانك لعلىٰ خلق عظيم** ﴾ وهذا ما يجعل الانسان المسلم يعرف تماما قيمة الأخلاق ، وهوية منهج التربية في الاسلام .

لقد دعا الاسلام الىٰ التمسك بالاخلاق الفاضلة ، ليضع بذلك مقياس التعامل مع الناس . قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن** ﴾ ومنهج التربية يتولىٰ تدريب الانسان المسلم علىٰ ذلك :

(أ) يعرف الانسان المسلم مع من يتعامل ، ويرسخ في ذهنه الفكرة رسوخا قويا عندما يؤكد عليه هذا المعنىٰ ، ثم يكرر التأكيد عليه والتشديد بأساليب متنوعة ، فلا يدع له مجالا للتفلت من أثر هذا التوجيه أو التخلص من وطأته . لقد عرفه بأنه يتعامل مع أخيه . « إنما المؤمنون إخوة » . ويتردد صدىٰ هذا المعنىٰ في حديث رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخية ما يحب لنفسه » وحديث : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه .. » .

(ب) يبين كيف يتعامل الانسان مع أخيه . لقد تعدد هذا التعامل كما رأينا في الحديث السابق « لا يؤمن أحدكم .. » وورد هذا البيان بأساليب شتىٰ كلها تؤكد هذا المعنىٰ أي كلها تذكر الانسان أنه يتعامل مع أخيه . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا

ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا » البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة ايضا ، قال رسول الله ﷺ : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه ولا يخذله ولا يتطاول عليه في البنيان إلا باذنه » إن هذا كله بيان من رسول الله ﷺ لما ورد في كتاب الله سبحانه .

﴿ يآ أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسىٰ أن يكونوا خيرا منهم ولا نسآء من نسآء عسىٰ أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب .. ﴾

وهكذا يتقرر معنىٰ الأخوة من كثرة تردد الكلمة بمناسبات عديدة ، وبصور متنوعة ، كلها تركز علىٰ ضرورة رعاية هذه الاخوة من جميع وجوهها لأن هذه المشاعر اذا غدت سجية ، وطبيعة أصيلة في الانسان ، بعد أن ضبط غرائزه وميوله ، استطاع عند ذلك أن يتعامل مع الناس علىٰ هذا المستوىٰ ، أعلىٰ مستوىٰ في العلاقات البشرية . إنه مستوىٰ الأخوة التي هي أصدق تعبير عن طبيعة التعامل الذي سينشأ بين الناس . وتجعل المجتمع كله بمثابة الجسد الواحد حقا وصدقا . وتتجسد فيه عند ذلك معاني قول الرسول : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ » .

سادسا : مراقبة السلوك :

تأتي عملية مراقبة السلوك بعد تنظيم السلوك لتكمل هذه التربية عناصر منهجها المرسومة . حيث لابد من مراقبة سلوك الانسان والتأكد هل هو متبع للسلوك الذي نشأ في أحضانه ، وربي في

كنفه ؟ أم أنه قد انحرف أو شذ .

والمراقبة في التربية الاسلامية لها دور كبير في الحفاظ علىٰ سلوك الانسان مستقيما بلغت حدا لم تصل إليه سائر الانظمة البشرية علىٰ الاطلاق . وان هذه المراقبة دفعت الانسان الىٰ أن ينتظم بسلوكه ويستقيم ، دون حاجة الى مراقب أو حسيب ، خوفا من المراقب الاعلىٰ والمحاسب الأكبر.

التربية الاسلامية تعود المسلم علىٰ الأمانة في كل أحواله ، بلا استثناء .

(أ) الامانة في العبادات التي يؤديها المسلم لله رب العالمين . فالصلاة أمانة وتدريب للانسان علىٰ الأمانة . والصوم أمانة ، بل هو يعتمد بالدرجة الأولىٰ علىٰ الامانة ، ومراقبة الانسان لنفسه بنفسه . وكذلك الزكاة وسائر العبادات التي يستطيع فيها الانسان أن يظهر خلاف ما يبطن ، وتكون ممارستها فعلا تدريب للانسان علىٰ أن يقوم بمراقبة نفسه ، دون أن يحتاج الىٰ وجود مراقب من الخارج ، يحصي عليه حركاته وسكناته .

(ب) الأمانة في المعاملات ، وتأتي ثمرة لأمانة الانسان المسلم في عبادته . ومع ذلك فان التربية الاسلامية أخذت الانسان في هذا الجانب من تربيته وهو جانب المراقبة لتكتمل الخطوات التربوية في المنهج ، وسارت فيها وفق الترتيب التالي :

١ ـ محاسبة النفس :

التربية الاسلامية تطالب الانسان أن يكون المحاسب الاول لنفسه ، وبفضل العبادات التي يمارسها خالصة لله رب العالمين ،

والتوجيه الربوي الذي تحمله آيات الكتاب المبين وأحاديث الرسول ﷺ ، بالترغيب والترهيب ، صار الانسان المسلم يحاسب نفسه فعلا ، قبل أن يصل الأمر الىٰ محاسب آخر . انه يحس ويشعر بأن أي سلوك لابد أن يكون صادرا وفق الاصول . ويخجل من نفسه أن يرتكب أية مخالفة . واذا ما ارتكب ذنبا في لحظة ضعف ، دفع نفسه للعقاب راضيا ، مهما كانت شدة هذا العقاب .

وفي المسلمين الاوائل أمثلة عديدة ، تبين لنا المستوىٰ العالي الذي وصلت إليه التربية الاسلامية ، جعلت المذنب يحس بوطأة الذنب فلا يرضىٰ أن يكتمه ، وهو بمقدوره أن يكتمه ، بل يندفع الى الاقرار به علىٰ نفسه ، ويطالب بتوقيع العقاب ، أو يرضىٰ بالعقاب دون ادنىٰ تذمر .

ـ هذه قصة كعب بن مالك ورفيقيه في غزوة تبوك ، تخلفوا عن القتال في هذه الغزوة ، كما تخلف غيرهم ، ولكن هؤلاء الثلاثة اعترفوا أمام رسول الله ﷺ أنه لا عذر لهم ، وتحملوا بسبب قصورهم العقوبة التي فرضت عليهم ، وامضوا أيام العقوبة بنفس راضية ، مستغفرين تائبين نادمين ، إلىٰ أن تاب الله تعالىٰ عليهم ، وعفا عنهم . قال الله تعالىٰ في شأنهم : ﴿ **وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا حتىٰ إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم** ﴾ .

ـ وقصة ماعز أيضا قصة رجل زنا ثم ندم وتاب ، وأرادها توبة نصوحا ، فقدم نفسه معترفا ، ومطالبا العقاب ، ليطهر نفسه من

الاثم . وشبيه بهذه القصة ، حكاية المرأة الغامدية . كلها أمثلة واقعية ، تعطينا صورة حقيقية عن الدرجة التي وصلت إليها النفس البشرية عندما خضعت للتربية الاسلامية .

٢ ـ محاسبة المجتمع :

التربية الاسلامية تحيط الانسان من كل جانب بسياج من التدابير حتىٰ إذا انفلت من واحد منها تلقاه الآخر . فاذا هي غرست في الانسان محاسبة النفس ، والمقدرة علىٰ ضبط النفس ، والشعور بالخجل من أي خطأ ترتكبه . فقد تفلت هذه النفس يوما ما وتحاول أن تتمادى أو تخالف أمرا ما من أوامر الشرع ، فاذا بها تصطدم فيما يسمىٰ محاسبة المجتمع . فالمسلم اذا لم يقو على كبح جماح نفسه ، حيث لم تؤثر فيه محاسبة النفس ، يجد نفسه في دائرة أوسع من ذاته تراقب وتحاسب وتعاقب .

والتربية الاسلامية تغرس في نفس الانسان الخوف من محاسبة المجتمع ، اذا هو لم يخف ، أو لم يقدر علىٰ محاسبة نفسه بنفسه . إنها تشعر الفرد أنه وسط مجتمع أفراده كلهم ساهرون على سلامة المجتمع ، وأن أي خلل يصدر من فرد من أفراده سوف يحاسب عليه هذا الفرد ، وينال جزاءه العادل ، دون أي تهاون ، أو مهادنة . وطالما الامر كذلك فان الانسان يحسب ألف حساب قبل أن يقدم علىٰ ارتكاب أية مخالفة من المخالفات ، بعد أن عرف أن المجتمع سوف يحاسبه ، وعرف قيمة هذا الحساب ، ومدى تأثيره علىٰ حياته وسعادته .

الله سبحانه وضع لنا قاعدة « ولكم في القصاص حياة يا أولي

الألباب » والرسول ﷺ في حديث « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها » يرسم لنا هذه المحاسبة وضرورتها ، فيقول في نهاية الحديث : « فان اخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعا ، وان تركوهم وما أرادوا هلكوا ، وهلكوا جميعا » .

٣ ـ محاسبة رب العالمين :

هذه المحاسبة تأتي في نهاية مطاف الانسان بهذه الحياة ، حيث تعطيه التربية تصورا كاملا عن ارتباط دنياه بأخراه ، وان اليوم الآخر هو يوم الحساب العام . وكل انسان سيؤدي حسابه بين يدي رب العالمين ، ولن ينجو منه انسان مهما كان ، وان كل عمل يعمله في الدنيا ، وفيه مخالفة قد ارتكبت ولم يحاسب عليها ، لأنه أخفاها فلم يعرفها أحد ، أو لم يطلع عليها أحد ، سوف يؤاخذ بها يوم القيامة ، ولسوف تكون سببا في شقائه ، وسوء مصيره .

ان هذا الفزع الذي تزرعه التربية الاسلامية في النفس ، تجعل هذه النفس علىٰ حذر من خطيئة ترتكبها ، أو مخالفة تقدم عليها ، بل هي تؤثر فيها إلىٰ أبعد من ذلك ، حيث تجعلها تأتي طائعة مختارة ، لتنال عقاب الدنيا مهما كانت وطأته ، خوفا من عقاب الآخرة بعد أن أحست بالندم ، ولجأت الىٰ التوبة .

ما اعظم هذه التربية تدفع المخطئ نفسه ليقر ويعترف أنه مخطئ ، وليطالب على أثره بأن يقتص منه ، وينزل به العقاب .

سابعا : نماذج القدوة الصالحة :

ان نموذج القدوة الصالحة من وسائل التربية التي أخذ بها الاسلام ليربي بموجبها أفراد المجتمع . وإن قيمة ودور هذه الوسيلة

وجدواها لا جدال فيه ، لكونها تساير فطرة الانسان في حبه للتقليد ، ومحاكاة الآخرين . لذلك يعالج الاسلام سلوك الفرد بارشاده الىٰ النموذج الكامل ، والقدوة الصالحة ، ويدعوه الىٰ التأسي بها والسير علىٰ دربها .

الله سبحانه جعل من الرسول ﷺ مثالا وقدوة وأسوة للناس يقتدي الناس بسيرته وسلوكه . قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولكم في رسول الله أسوة حسنة** .. ﴾ . والرسول ﷺ حث الناس ودلهم علىٰ الاقتداء بالأسوة الحسنة فقال : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . »

وهكذا نجد أن ميدان التربية الاسلامية يتسع الىٰ وسائل العلاج التي عرضناها كلها ، بحيث تتناول الفرد من جوانب حياته كلها ، وتسعىٰ إلىٰ تهذيبها وتوجيهها الوجهة السليمة ، حتىٰ تقيم الفرد علىٰ الجادة . وحتىٰ تجعل من الفرد لبنة صالحة لبناء المجتمع المسلم ، ومنبع خير للناس أجمعين . ويحمل هذا المجتمع الشهادة الالهية أو الوسام الرباني : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس** .. ﴾

ونجد أن النبي ﷺ هو أول من أقام منهج التربية علىٰ هذا النحو ، وأخذ المسلمين به ، حيث أخضعهم لتربية فريدة من نوعها . حيث اهتم بسلوك المسلمين في الحياة ، واهتم كذلك بعلاج هذا السلوك اذا ما انحرف . كما راقب نزعاتهم ورغباتهم واتجاهاتهم ودأب علىٰ توجيهها واصلاحها ، إلىٰ أن توصل نهجه الذي دعا إليه ، الىٰ بناء الانسان النافع لنفسه ، النافع لاسرته ، النافع لمجتمعه .

الفصل الثاني

المنهج الاسلامي في التعليم

[تعريف التعليم ـ موضوعه ـ طبيعته ـ خصائصه]

المبحث الاول : تعريف التعليم الاسلامي

المبحث الثاني : موضوع التعليم الاسلامي

المبحث الثالث : **طبيعة التعليم الاسلامي**

المبحث الرابع : **خصائص التعليم الاسلامي**



تمهيـــد

تحتوي الشريعة الاسلامية علىٰ منهج كامل في التعليم مستوف شرائطه في أداء الغرض منه . وهو التعرف علىٰ الشيءُ حسيا كان أو معنويا ، ثم نقل المعرفة الىٰ طلابها . وهو منهج منسجم تمام الانسجام مع تعاليم الشريعة الاسلامية باعتبارها المصدر والاساس له . ولذا فهو يختلف بطبيعته وخصائصه عن المناهج غير الاسلامية . إنه منهج نسيج وحده ، طالما أن مصدره ومنبعه التنزيل .

هذا المنهج بقي غريبا مجهولا غير معروف حتىٰ من أهله الاقربين . لذا فقد ندر من يعرف به ، أو يدل عليه ، وكان نصيبه من أهله علماء الشريعة أنهم لم يعيروه اهتمامهم ، ولم يسعوا إلىٰ إبرازه ، وعرضه عرضا يعرف بطبيعته ، ويظهر خصائصه . إذ لا يعرف بالشيءُ إلا من عرفه حق المعرفة .

وأكثر ما كتب فيما يتعلق بالمناهج كانت تدور حول التربية الاسلامية ، أما التعليم في الاسلام فلم يكن موضع بحث واهتمام من قبل الكتاب المسلمين إلا ما ندر والبعض ممن كتب عن التعليم أدمجه مع التربية أو أشار إليه في الحديث عن التربية علىٰ أنهما شيءُ واحد ، دون أن يبرز ويحدد مجال كل منهما ودوره في الحياة .

وفي الحديث عن المنهج الاسلامي في التعليم لابد من أن نأتي علىٰ تعريف التعليم وبيان موضوعه ، ثم نعرض لطبيعته وخصائصه ، وذلك في المباحث التالية :

المبحث الاول : تعريف التعليم :

اولا : التعليم لغة : التعليم من علم الشيء يعلمه علما : عرفه . وعلمت الشيء ، أعلمه ، علما : عرفته . وعلم بالشيء : شعر . وعلى هذا يكون المراد من الكلمة ، هو التعريف بالشيء بما تزول به الجهالة .

ثانيا : التعليم اصطلاحا : من التعريف اللغوي نستطيع القول : ان التعليم هو تزويد الانسان بالمعرفة اللازمة له عن الأمر أو الشيء الذي يرغب الاحاطة به . وهو كذلك تزويد الانسان بالطاقة التي بها يتعرف علىٰ الموجودات في هذا العالم وعلىٰ الحياة . أي القدرة التي تمكنه من الوقوف على أسرار الكون وخالق الحياة . وباختصار : هو نقل المعرفة الىٰ طلابها بصورة تشمل المعرفة المادية ، عندما يكون الموضوع شيئا ماديا . والمعرفة المعنوية عندما يكون الموضوع معنويا .

المبحث الثاني : موضوع التعليم :

ان موضوع التعليم هو موضوع التربية نفسه ، وهو الانسان الذي وهبه الله القدرة علىٰ اكتساب المعارف . اما القول بتعليم الحيوان فلا يكاد يذكر بالمقارنة .

وعملية التعليم : هي العملية التي يلتقىٰ بموجبها الانسان طالب المعرفة حاجته من هذه المعرفة ، تمكنه من الوقوف علىٰ حقيقة الشيء

أو الأمر الذي يعنيه ، بصورة تنفي عنه الجهالة به ، وتتم عملية التعليم عند تزويد الانسان بالمعارف التي يرغب الحصول عليها . ويكون لدىٰ شعوره بالحاجة الىٰ الوقوف علىٰ حقيقة شيءٍ ، أو أمر ما .

والانسان يحمل القدرة علىٰ اكتساب المعارف منذ نعومة أظفاره وطبعا تختلف هذه المعارف كما وكيفا وتتدرج حسب عمر الانسان حتىٰ إذا ما بلغ درجة من النضج مع الاستمرار في طلب المعرفة مكنه ذلك من أن يستوعب معارف علىٰ غاية من التعقيد والتشابك لا يستطيعها انسان في مثل سنه إن لم يكن بدرجته وقدرته .

وفي التعليم تتفاوت قدرات الناس كما يتفاوتون في الرغبة فيقدم البعض علىٰ اكتساب انواع من المعارف يعافها غيرهم أو يزهدون بها .

المبحث الثالث : طبيعة التعليم الاسلامي :

هذا المنهج قائم علىٰ الدين فأساسه الدين ومصدره الدين ولذا فان نظامه الذي يسير عليه وطبيعته التي يتصف بها وخصائصه التي يتميز بها تحمل كلها طبيعة الدين وصفاته وبالتالي فهو مختلف في مفهومه وطبيعته عن مفهوم التعليم في المناهج غير الاسلامية لما بينهما من فوارق كبيرة أدت الىٰ وجود هذا الاختلاف وحددت كل منهج وخصائصه . ومن هذه الفوارق التي يمكن أن نذكرها والتي تساعدنا علىٰ تحديد طبيعة كل منهج الفوارق التالية :

اولا : فارق المصدر :

إن المنهج الاسلامي يستمد قواعده من الشريعة الاسلامية ، ومن مصدريها القرآن والسنة بالدرجة الأولىٰ ولذا فهو يأخذ عن نظام منزل من السماء بينما نجد العكس تماما في المنهج غير الاسلامي فهو منهج وضعي أي من وضع الانسان ولذا فهو منقطع الصلة بالدين بل يحارب الدين ويعارضه ويعاديه . ونعلم ما للمصدر من أهمية في تحديد طبيعة المنهج وما ينبني علىٰ ذلك من اختلافات . وشتان بين منهج أساسه واعتماده الدين ومنهج أساسه واعتماده محاربة الدين واقصاؤه عن ميادين الحياة كلها . وإن أتباع المناهج غير الاسلامية يفاخرون بأن المنهج الذي يأخذون به منهج وضعي ويزعمون أنه منهج علمي بمعنىٰ أنه لا صلة له بالدين لأن وصف العلمية وضع بمقابل الطبيعة الدينية . فعلىٰ القارئ المسلم أن يتنبه تماما الىٰ أن هذا لاصطلاح باطل واذا كان قد تسرب إلىٰ بعض كتابنا بحسن نية فان استعماله هذا لا يصحح فساده . وفي نظرنا أن هذا الاصطلاح الدخيل يموه الحقيقة ويشوهها فعلىٰ المسلمين نبذه ، والحذر من استعماله ، والتنبه اليه لدى من استعمله جاهلا فساده .

والحقيقة التي يجب أن نقررها ونؤمن بها إيمانا تاما ، أن كلمة الدين لا توضع بمقابل كلمة علم لأن الدين الاسلامي كما نعلم عن يقين هو العلم ، وما حواه القرآن وما تضمه السنة النبوية هو أصدق العلم ، فكيف نضعه جهلا وانسياقا وراء الاستعمال الفاسد بالصف المقابل للعلم .

إن التعابير والمصطلحات الاجنبية هي مصطلحات غير اسلامية فيجب الحذر كل الحذر من استعمال هذه المصطلحات في كل ما له صلة بالدين وذلك لاختلاف المفهوم والمقصود بين كلمة دين عندنا وكلمة دين عندهم والفرق الشاسع بين المفهومين . فشؤون الحياة كلها عندنا لها صلة بالدين ولا يوجد أمر من أمور الحياة للمسلم خارج نطاق الدين واشرافه . فكيف نجيز لأنفسنا أن نطلق علىٰ هذا الأمر أنه دين وآخر أنه علم . واذا كان قد سها كثير من الكتاب المسلمين عن هذا الاختلاف فان ما كتبوه يحمل الكثير من التناقضات والفساد .

ثانيا : فارق الشمول :

ينجم عن الفارق الاول فارق المصدر ، فارق آخر هو نتيجة طبيعية له وهو فارق الشمول فالمنهج الاسلامي ينظر الىٰ الحياة بكاملها طالما يستمد تعاليمه وأسسه من نظام عام شامل للحياة كلها . نظام يجمع بين عالم الروح والمادة ، كما يربط بين عالم الشهادة وعالم الغيب ويصل الحياة الدنيا بالحياة الآخرة فهو علىٰ هذا الأساس يطرق أبواب المعرفة لهذه الحياة الشاملة بتمامها وينقل ما حمل من صور وألوان عنها الىٰ طالبيها من بني البشر حيث يضع البشرية جميعا أمام صورة واحدة لحياة الانسان كلها ، ولمتطلبات الانسان كلها . وما هذه المعارف في ظل هذا المنهج إلا صور متتابعة تعرض علىٰ شكل مجموعات يضمها شريط واحد أشبه بالشريط السينمائي فتكون علىٰ تنوعها وحدة متكاملة . فأسلوب العرض واحد حين يعرض هذه الصورة أم تلك والآلة العارضة واحدة

لا تتبدل . وكذلك الحال في عرض الفصل الثاني من رواية الحياة الانسانية « حياة الآخرة » بعد انتهاء الفصل الاول « الحياة الدنيا » بمعنىٰ أن العلوم الانسانية كلها واحدة وطريقة عرضها أي طريقة نقل المعرفة هو واحد . كذلك من حيث ضرورته ومن حيث أهميته لا فرق بين علوم الدين وعلوم الدنيا .

إن هذا الشمول مفقود تماما في المنهج غير الاسلامي لأنه كما رأينا منهج محصور في نطاق ضيق من حياة الانسان هي الحياة الدنيا فقط . ومن الحياة الدنيا لا يعرف إلا عالم الشهادة ومن هذا العالم أيضا لا يتناول إلا الجانب المادي لا غير . فانظر إلىٰ أي درجة من الضيق يتقوقع فيها ، ويحصر حياة الانسان ، واهتمام الانسان ، ومعارف الانسان ، في هذه الزاوية الضيقة من الحياة الانسانية . ليترك الانسان فيما يجاوز هذا الأفق الضيق لا يعرف شيئا عنه ولا يفقه منه شيئا . أو إن هذا القصور يدفع الانسان إذا ما أدرك الواقع أن يبحث عن منهج آخر يترجم له ما قصر عنه المنهج ويضطر الانسان الىٰ الخضوع الىٰ منهجين لا شك أنهما متعارضين وإلا لصارا منهجا واحدا وهكذا يكشف لنا هذا الفارق عن البعد ما بين المنهجين وتعذر التوفيق بينهما أو التلاقي كما يكشف لنا عن خاصة الكمال في المنهج الاسلامي الذي يزود الانسان بكل معارف الحياة وكل جوانب الحياة وكل مراحل الحياة . وعن خاصة النقص المريع في المعرفة في المنهج غير الاسلامي القائم علىٰ التجزئة والتمزيق والتشويه لصور الحياة ومعارف الحياة .

ثالثا : فارق الربح :

هو الفارق الذي ينجم عن النظرة المادية للمنهج غير الاسلامي وهذا عامل هام من عوامل التفريق بين المنهجين نجد فيه المنهج الاسلامي لا ينظر الىٰ جانب الربح كمطلب أساسي وكغرض أول فيسخر كافة العلوم لخدمة هذا الغرض لأن له هدفا أسمىٰ من ذلك وأشمل هو البحث عن الحقيقة ، حقيقة هذا الكون وحقيقة الانسان في هذا الكون ، ودوره فيه ، ومدة بقائه فيه ، ثم حقيقة الانتقال منه وحقيقة المكان الذي سيتم الانتقال اليه . كلها قضايا جديرة بالاهتمام والبحث والدرس والقول الفصل قبل أي تفكير آخر يتعلق بطعام أو شراب أو متعة . كلها قضايا تتوقف علىٰ معرفتها سعادة الانسان في هذه الحياة فعلىٰ ضوء هذه المعرفة يبني الانسان مخطط حياته ، ويعرف تماما في أي طريق واجد سعادته الحقيقية . ومن ثم يعطي من جهده ويعير من انتباهه لكلٍ بقدر ما يستحقه ، فأيهما يراه يستحق له البذل أكثر أعطاه وبذل من أجله فلا يخطو خطوة في هذا الاتجاه أو ذاك إلا عن بينة . أما الربح فيأتي في المرتبة التالية من أهدافه لأن قضية الربح قد تأتي من هذا السبيل أو غيره واذا كان لها من الاهمية إلا أنها لا تشغل إلا حيزا محدودا من اهتمامات منهج التعليم الاسلامي ، والحيز الأكبر من التعليم يجب أن يكون خارج الهدف التجاري .

وبالمقابل نجد منهج التعليم غير الاسلامي ، يسير في الخط المعاكس تماما ، فلا غرض له ولا هدف سوى الربح المادي ، فكل المعارف التي يطرقها وكل الاكتشافات التي يسعىٰ إليها لابتغاء

الكسب المادي لا غير واذا لم تكن كذلك في البداية فإنه يسعىٰ جاهدا ليجعلها وسيلة للكسب وطريقا للثراء ، لذلك فإن معظم من يهتم بالاكتشافات العلمية ويقوم عليها الشركات التجارية والمؤسسات الصناعية . واذا كان للمؤسسات الحكومية نصيب فما هو إلا لموآزرة هذه الشركات ومساندتها في مهمتها ، ولذا يندر أن يكون البحث العلمي من أجل الحقيقة المجردة .

والآن نستطيع من خلال هذه الفوارق التي عرضناها أن نتلمس بعض الخصائص التي ينفرد بها منهج التعليم الاسلامي وهي موضوع المبحث التالي .

المبحث الرابع

خصائص التعليم الاسلامي

هناك خصائص تميز هذا المنهج وتجعل له كيانا مستقلا وهي :

اولا : الوحدة :

الوحدة هي الخاصية الأولىٰ من خصائص المنهج الاسلامي في التعليم وقد سبق أن رأينا أن الوحدة هي الطابع العام الذي يطبع المنهج الاسلامي بصورة عامة . ونعني بالوحدة هنا أن هذا المنهج يشكل في المجتمع المسلم منهجا واحدا لا يتعدد وأنه يسلك طريقا واحدة في التعليم لا تتغير . فلا يميز بين تعليم خاص بالدين يقوم عليه رجال الدين وتعليم خاص بالدنيا يقوم عليه رجال من نوع آخر . كما لا يميز هذا المنهج بين تعليم خاص بالروح يكون من اهتمامات رجال الدين وتعليم خاص بالجسم لا يأبه له رجال الدين بل يتولاه غيرهم

ويمكن أن نطلق عليهم رجال الدنيا . كذلك فإنه لا يميز بين تعليم خاص بالمغيبات وعالم الآخرة ينفرد به رجال الدين ، وتعليم خاص بعالم الشهادة او فيما يتعلق بالمادة فقط يقوم به أو عليه من شاء من العباد دون نظر الىٰ جنسه أو لونه أو شكله علىٰ زعم أنه خارج نطاق الدين فلا نبالي أي يد أمسكت به .

إن حياة الانسان في نظر المنهج الاسلامي حياة واحدة متصلة مترابطة لا ينفصل فيها العلم بالله وعبادته ، عن العلم بالدنيا والمعاش فيها ، ولا العلم بعالم الغيب عن العلم بعالم الشهادة . ولا العلم بالحياة الآخرة عن العلم بالحياة الدنيا . فما دام الإله واحدا والنظام الذي أرسله للعالمين واحد عام شامل كامل ينتظم حياة الانسان كلها في جميع مراحلها وفي جميع أطوارها وينظمها فلا يترك شيئا من هذه الحياة خارج التنظيم .

لذلك كان اسلوب التعريف بالحياة أسلوبا واحدا ومنهجا واحدا وطريقة واحدة لا تتعدد والمعلم من نوعية واحدة هو المعلم المسلم والمؤمن بالله والرسول المخلص الصادق في عقيدته ولم يضع النظام الاسلامي شيئا من امور الحياة خارج نطاق اهتمامه ورعايته ليدع للانسان تنظيمه علىٰ وفق هواه ودون أن يكون خاضعا لرقابة الدين ـ إن مثل هذا لم يقع في المنهج الاسلامي لان وحدة المنهج في الاسلام تعني شيئا ذو أهمية كبرى غفلنا عن إدراك حقيقته تمام الادراك هو أن هذا المنهج يسلك طريقا واحدة في تعليم سائر العلوم التي لها ارتباط بحياة الانسان في الدنيا وفي الآخرة ويجب أن يتم ذلك في مدرسة واحدة مسلمة وعلىٰ يد معلم مسلم قوي العقيدة سليم

التفكير، طالما نؤمن أن الاسلام جاء لتنظيم الحياة بكاملها ولا يمكن ولا يعقل أن يتناول جزءاً ويترك أجزاء. أن يأخذ جانبا ويترك جوانب من هذه الحياة. من ينظمها إذن؟ ومن يرعاها؟ أنترك لأهل الفسق والفجور القيام بها والاشراف عليها؟

يا سبحان الله!. وأي تناقض أكبر في موقفنا من الدين من هذا التناقض. اننا بذلك نعترف ونقر بأن الدين الاسلامي لا ينظم الحياة بكاملها وندع الآخرين يتدخلون لتنظيمها فماذا تكون النتيجة؟

لننظر ونتأمل ونفكر كما عودنا القرآن الكريم علىٰ ذلك ونتساءل: أليس للدين دخل في المال والاقتصاد؟ أليس للدين دخل في الطب والهندسة لرعاية صحة المسلم وبناء سكن المسلم؟ أليس للدين دخل في علم الفيزياء والكيمياء وما يقدمانه من ثمرات «الكهرباء والهاتف ونقل الصوت ونقل الصورة علىٰ متن الهواء وكذلك صنع آلة أو أداة.

نحن نشاهد في مجتمعنا بأن هناك علوما ومعارف تنظم علاقة الانسان بخالقه، وعلوما ومعارف تنظم علاقة الانسان بالانسان، وهناك علوم ومعارف تنظم علاقة الانسان بموجودات الكون المحيطة به من حيوان ونبات وجماد سواء علىٰ ظهر الارض أم في باطنها، فأي العلوم نسميها لا دينية فنطردها من حظيرة الدين ونخرجها من حماه ونسمح عندئذ لمن شاء أن ينظمها ويرعاها علىٰ حسب هواه.

ما دام منهج الاسلام في التعليم نابعا من حقيقة الكمال وطابع الشمول الذي يتسم به الاسلام، فالدين للعالمين ﴿ **وما أرسلناك إلا**

رحمة للعالمين ﴾ ﴿ إنا أرسلناك للعالمين بشيرا ونذيرا ﴾ هو للحياة الدنيا والآخرة جاء ليحكم الحياة بأسرها ويعطي الانسان التوجيهات والارشادات اللازمة له في خلاقته في الحياة الدنيا مراعيا في ذلك وبنفس الوقت متطلبات الحياة الآخرة طالما أن الحياة الدنيا بأسرها إعداد لحياة الآخرة وممر إليها .

لابد أن يكون منهج التعليم واحدا لا يتعدد ، شاملا لا يتجزأ ، كاملا غير ناقص بواسطته يأخذ الانسان المسلم المعارف كلها التي يحتاج اليها ، والمسلم يريد أن يعرف :

١ ـ أن يعرف خالقه وخالق الحياة وما فيها وكيف يتعامل معه .

٢ ـ أن يعرف ما يحيط به من موجودات في هذه الحياة ما هي ؟ كيف يتعامل معها ؟ كيف تقوم علاقته بها ؟

٣ ـ أن يعرف القوانين التي تحكم الحياة « نواميس الكون » وتحكم هذه الكائنات ليخضع لها فلا يعاندها فيصطدم بها فتهلكه .

٤ ـ أن يعرف نفسه هو من هو ؟ وما حقيقته ؟ من أين أتىٰ ؟ والىٰ أين يذهب ؟ وماذا يعمل في هذه الحياة ؟

هذه الامور كلها تضمها مباحث العلوم التي يدرسها الانسان وعلىٰ الانسان المسلم أن يدرسها وفق منهج واحد أقره الدين وأشرف علىٰ تنظيمه ورعايته ليخرج من حصيلة هذه المعارف واضح الهدف مستبين الطريق .

أما إذا تعددت الاتجاهات المشرفة علىٰ التعليم وتعددت تبعا لذلك مناهج التعليم وضعت الانسان في طريق مسدودة وغدت أمامه الحياة عبارة عن مجموعة ألغاز لا تفسير لها وما دامت كذلك

فليصرف النظر عنها وليلهو بما لديه مما استطاع جمعه من تلك المعارف التي أجاد فيها وأحسن ، ويكفي أنها طريق للكسب . لأن مناهج التعليم الحالية لا يشغل بالها الانسان نفسه ، من هو ؟ ومن أين جاء ؟ والىٰ أين يذهب ؟ وما هي وظيفته في هذه الحياة ؟ فتعرفه بمهمته . ولا يشغل بالها بأن تكون مواضيع البحوث التحري عن صانع هذه الحياة وخالق هذا الوجود ومبدع تلك الكائنات ، وكيف يتعامل الانسان معه ، لا يشغل بالها كل هذه الحقائق إنما الذي يشغلها هو أن تلهو وتعبث بالموجودات التي تحيط بها تنظر إليها من خلال منظارها الخاص علىٰ أنها سلعة تجارية أو صناعية تعود بالربح الوفير . أما البحث عن صانعها الذي بثها في الارض أو أودعها أعماق البحار ، أو نصبها علما في الفضاء ، وزين بها أرجاء السماء ، فذاك أمر لا يعنيها وخارج عن اختصاصها زعما بأن هذا من اختصاص الدين وأن للدين منهجه الخاص به في تعليم أتباعه هذه الموضوعات الخاصة بالدين .

هذه النتيجة المضحكة في توزيع الاختصاصات ، وتصنيف الموضوعات ، لا محل لها في المنهج الاسلامي ، حيث لا مجال للتعليم علىٰ الطريقة غير الاسلامية ، التي تأخذ بازدواجية التعليم ابدا ، ولا محل للتفرقة التي أقامها منهجهم وقلدناهم بها . كل العالم الاسلامي اليوم مقلد أخذ بالفصل بين علوم دينية خاصة برجال الدين كما اطلق عليهم ذلك تقليدا ، وعلوم دنيوية « العلوم الطبيعية » يعبث بها من يشاء أيا كانت هويته أو عقيدته ونطلق عليهم رجال الدنيا . هذا وضع غير سليم ولابد من وضع حد لهذا

التسيب في التعليم ، والاقلاع عن التقليد لمناهج تعليمية أجنبية مبتسرة فاشلة ، فهي كما نلاحظ :

١ ـ أنها أجنبية أي غريبة الوجه واليد واللسان .

٢ ـ أنها مبتسرة أي مجتزأة إلىٰ درجة المسخ من علوم الحياة الانسانية .

٣ ـ أنها فاشلة أي أنها لم تسعد أهلها فكيف تسعد غيرهم .

ولابد من الانتباه إلىٰ الخطر الكامن وراءها من تشويه ومسخ للعلم والمتعلمين .

ولابد من العودة إلىٰ الصواب إلىٰ طريق الاسلام يا حماة الاسلام . إلىٰ منهج التعليم الاسلامي الذي يقوم علىٰ الوحدة ، فتنتظم سائر العلوم في خط سير واحد تتوافق كلها وتنسجم مع شريعة الله حيث الادارة فيها واحدة ، والموجه واحد ، ومصادر المعرفة واحدة ، والقائمون علىٰ التعريف والمعرفة من لون واحد ، من أهل الشريعة ، أي من أهل الايمان الخالص واذا كان الامر كذلك ، فلا محل لفكرة التقسيم الىٰ علم ودين ، في منهج التعليم الواحد ، وهو موضوع البحث في البند التالي .

ثانيا : فكرة التقسيم الىٰ علم ودين :

بما أن من خصائص المنهج الاسلامي الوحدة فإن فكرة التقسيم أو نغمة الازدواجية التي تتردد علىٰ ألسنة الكثير من المتكلمين ، أو تندبها أقلام بعض الكتاب سواء بحسن نية أم بسوء نية لا أساس لها من الصحة ولا محل لها في هذا المنهج . وكذلك فإن مصطلح

الاسلام دين ودنيا ، الذي يتردد أحيانا لا مكان له كاصطلاح في منهج التعليم الاسلامي فإن هاتين العبارتين وما شاكلهما مما يوحي بالازدواجية يخالف منطق الوحدة الذي قررناه في المبحث السابق ونقول إن السير مع منطق الوحدة كما يقتضي أن لا يكون هناك تناقض بين أنواع العلوم وطرائق التعليم ، كذلك يقتضي أن لايكون هناك تفريق بين ما يسمىٰ بعلم ودين ، لأن هذه العلوم سواء أكانت علوما طبيعية تبحث في موجودات الكون ، أم علوما تتعلق بأمور العبادات والمعاملات وبعالم الغيب ، ومصير الانسان يوم القيامة ، كلها تنصهر في بوتقة واحدة هي بوتقة النظام الذي يحكمها جميعا وهو نظام الخالق الصانع الذي خلق الحياة ونظمها . هو الذي خلق ، وهو الذي نظم ، وكل فرع من فروع العلوم في ظله يرفد الفرع الآخر ويؤيده ، ولايمكن أن يعارضه بحال من الاحوال .

ليس هناك استقلال لأي فرع من العلوم عن العلوم الأخرىٰ طالما أنها كلها فروع لأصل واحد يجمعها ، ونظامٌ واحد يحكمها . وليس هناك ازدواجية في العلوم أو ازدواجية في التعليم . وما قام الاستقلال والفصل إلا في أذهان أولئك الذين كانوا وقود الصراع في المعركة التي نشبت بين رجال النهضة ورجال الدين في اوروبا .

فكرة التقسيم أو الازدواجية اتتنا من هناك ، من اوربا ، وأخذنا نرددها ببساطة دون أن ندرك الخطر الكامن فيها .

هذه الفكرة الخبيثة تجاوزت حدود منبتها أوربا لتعم وتنتشر في بلاد الاسلام وتستقر فيها وتعتنقها علىٰ أنها المنطق والصواب ، هذه علوم دينية مستقلة قائمة بذاتها لها رجالها القائمون بها ومؤسساتها

التي تعمل علىٰ نشرها وتعليمها طلابها . وتلك علوم دنيوية لا تأبه بها مؤسسات الدين ومعابده ولا ينظر إليها رجال الدين وطلابه فلهذه العلوم مؤسساتها التي ترعاها ورجالها الذين يقومون بأمرها ولكل منهجه التعليمي الخاص به .

نعم لقد ترددت الفكرة علىٰ ألسنة الكثير من علماء الاسلام ، وتسللت إلىٰ كتاباتهم ومؤلفاتهم ، وأقرها رجال الشرع ، وحراس الدين بكل بساطة ، ودون امتعاض منهم ، أو ابداء أي اعتراض علىٰ الفصل ، لقد توجه اعتراضهم باديء الامر علىٰ أنها علوم كافرة حذروا من حولهم منها ، ومن الاشتغال بها ، واقتصر موقفهم علىٰ ذلك ، أما الفصل فقد أيدوه وحبذوه طالما أن هذه العلوم تبقىٰ بعيدة عنهم وعن مؤسساتهم التي يرعونها حيث لايمكنهم أن يخرجوها من البلاد .. إنهم لم يحاربوا فكرة التقسيم والازدواجية إنما حاربوا العلوم نفسها علىٰ أنها علوم كافرة أوصدوا الباب دون استقبالها واختبارها والتثبت من هويتها . إن هذا الموقف من رجال الشرع الاسلامي كان موقفا غريبا فرحوا باستقلالها عن الدين وبعدها عنهم حيث لاحول لهم ولاقوة لابعادها عن البلاد ، وهي بنظرهم علوم الدنيا والمادة ، لا يهمهم شأنها ، ولا يعنيهم وضعها ، فلتبق بعيدة عن الدين ، ليسلم الدين من شرها ، وليدرسها من شاء ، ويعبث بها من شاء .

وهكذا أوصد علماء الشريعة الأبواب دون هذه العلوم الوافدة الغريبة وكأنها تحمل سمات الكفر وعلاماته ولا يريد أحد من رجال الشريعة أن يدنس ثوبه برجسها .

يا سبحان الله أإلىٰ هذه الدرجة من السذاجة وصلنا يوما من الأيام . نعم إلىٰ هذا الحد من البساطة والجهل وضعف التقدير حيث لم يسعفنا فهمنا لشريعتنا آنئذ ويدفعنا إلىٰ تقدير مدىٰ خطورة هذه العلوم ولم نهتد إلىٰ فحصها وبيان درجة صلاحيتها وصلتها بالدين أهي منه أم أجنبية غريبة عنه .

الموقف كان بعيدا كل البعد عن الشريعة ولكن لم يفطن إلىٰ الحقيقة آنذاك حراس الشريعة الذين كانوا أيام استيراد العلوم الطبيعية من أوربا وحضروا أيام أرسل الشباب إليها ليأتونا بالعلم فحملوا منه الفتات وجاءوا بالفساد وتركوا ما لذ وطاب .

لقد حصل ما حصل ، عندما تخلىٰ رجال الشرع عن الاضطلاع بمسؤوليتهم الكبرىٰ ، ورعاية سائر العلوم ، ورقابة سائر وفود العلم ، وما أحضروه من غث أو سمين ، ثم الحكم علىٰ ذلك بعد دراسة وتمحيص .

لقد تخلو عن قيادة النهضة العلمية الشاملة بكافة جوانبها ورقابة اتجاهها وقنعوا بما لديهم . وكم كانت فرحتهم أنهم سلموا من لوثتها وكفىٰ فليتلوث بها من شاء .

لقد أيدوا الفصل ، طالما أنه يبعد هذه العلوم عنهم ، وما علموا أنه هو السم في الدسم ، وأنه هو الفكر الخاطئ الخبيث ، الذي تجب محاربته ، والحيلولة دون اقراره ، والتسليم به . عارضوا العلوم نفسها علىٰ أنها كافرة رغم أنها علوم بريئة من هذه التهمة بل هي علىٰ العكس علوم الايمان وعلوم التوحيد الخالص الذي تعبدنا الله سبحانه بالنظر اليها والتفكير بها .

إن هذا الموقف الذي استعرضناه يجعلنا اليوم ندرك مدىٰ الحكمة في دعوة الله سبحانه المسلمين إلىٰ التفكير في كل شيئ ، وفي كل أمر من أمور حياتهم وفي كل ما حولهم ، ونبذ التقليد بجميع أشكاله ، لابد من إعمال الفكر في حياة المسلم كفرد وحياة المسلمين عامة كجماعة ليكونوا علىٰ بينة من الامر فلا يأتي بنيانهم من القواعد عامل سوء يهدمه ولا يدري أصحاب الدار بل يحسبونه أنه عامل خير وبناء .

ما أصاب مجتمعنا ما أصابه إلا ثمرة هذا الفصل الماكر في التعليم بين علم ودين فكان طامة كبرىٰ وشرا مستطيرا سرىٰ في أجيالنا وربوع بلادنا سريان النار في الهشيم واذا لم ننتبه ونتدارك الأمر فالخطر يزداد والشر ينتشر .

إن فكرة التمييز بين علم ودين فكرة دخيلة غريبة علىٰ مجتمعنا ومعتقداتنا لأن الاسلام لا يقيم مثل هذا الفصل ولا يقره ، وكل العلوم التي تخدم الانسان في معاشه وعبادته ومعاده هي في نظر المنهج واحدة تنتمي لأصل واحد تتساند فيما بينها وكل فرع منها يمد الآخر بما يلزم من عون .

وحيث أنه لا ازدواجية في منهج الاسلام فهذا يؤدي بنا الىٰ القول بوجود التوافق وهو موضوع البند الثالث .

ثالثا : التوافق والانسجام :

إن الوحدة التي يأخذ بها النظام تقودنا إلىٰ هذه الخاصية من خصائص المنهج الاسلامي وهو أن العلوم كلها في نظر الاسلام

تدعم بعضها بعضا وتؤيد بعضها بعضا وتصدق بعضها بعضا اذا ما استخدم النهج السليم والعقل الحكيم لفهمها والتوفيق بينها ولا مجال لتناقض يقوم بين أجزاء منهج واحد بل ذلك من المحال . وكيف يصح عقلا أن يقع مثل هذا التناقض أو التعارض طالما الخالق واحد ، والمنظم واحد ، والانسان لا دور له إلا أن يكتشف ما يكتشف من هذه المخلوقات ويطبق عليها نظامها الذي يحكمها فلا يضع من عنده نظاما ولا يحدث من لدنه تغييرا . واذا ما صادفنا أي تعارض فما ذلك إلا سقم في فهمنا يحتاج منا إلىٰ إعادة نظر .

نحن نعلم أنه لا يجوز بشكل من الأشكال أن يقع التعارض بين القرآن والسنة لأنهما من مصدر واحد ، فالقرآن الكريم كلام الله تعالىٰ ، والسنة وحي من الله ﴿ **وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ** ﴾ . كذلك لا يجوز ولا بشكل من الاشكال أن يقع التعارض بين العلوم الطبيعية والقرآن الكريم أو السنة الشريفة أو الفقه المستمد من القرآن والسنة .

واذا كان كل علم من العلوم يغطي جانبا من جوانب الحياة ، فما هو إلا فرع ينتمي إلىٰ أصل ، هو علم من علوم الشريعة الاسلامية ، التي يضمها لواء واحد ، ويجمعها نظام واحد ، ولذلك ينتفي حتما ذلك التضارب والتعارض الذي ظهر في المجتمع الأوربي بين العلوم الطبيعية والدين « علوم الكنيسة » وما أدىٰ إليه في ذلك المجتمع من صراع مرير وشر مستطير كان حصاده إعدام الآلاف من علماء الطبيعة علىٰ يد رجال الدين المسيحي فكان ما كان فيما بعد من الصراع الذي انتهىٰ بالفصل بين العلوم الطبيعية والدين نتيجة سوء
الصراع الـذي انتهى بالفصل بين العلوم الطبيعية والدين نتيجة سوء الفهم

للحقيقة والصاق هذا الفهم السقيم بالدين . وكانت جناية كبرىٰ من رجال الدين المسيحي علىٰ الدين نفسه وهم حماته وعلىٰ الحياة نفسها . لقد أدت خصومتهم هذه أن تكرس الفصل وشعر الناس أن لا تلاقيا واذا أدىٰ الفصل إلىٰ ما أدىٰ إليه ، فيعني ذلك إبعاد العلوم الطبيعية عن موطنها الذي يجب أن تتواجد فيه . كان هذا رد رجال الدين المسيحي . ولكن هذا الرد لم يوجه إلىٰ رجال الدين الذين أسرفوا في ارتكاب المساوية ، بل توجه الرد إلىٰ الدين ، وما لحق الفصل رجال الدين المسيئين إنما شمل الدين كله . وهم إذ أبعدوا الروح عن العلوم الطبيعية أبعدوها عن الحياة كلها فغدت علوما مادية قاسية جافة ، وغدت الحياة كذلك مثلها لا تعرف للاحسان معنىٰ ولا للخلق الكريم طعما .

وإذا خوت الحياة في أوربا من الروح ومن نفحات الروح وانطبعت الحياة كلها بطابع المادية ولم يعد للدين دوره في توجيه الحياة فمن المسؤول عن هذه الجريمة ؟

لقد توجهت الأنظار إلىٰ الدين ، وأطلقت الاتهامات علىٰ ألسنة مروجيها كلها تشير إلىٰ الدين ، ولنا أن نتساءل لماذا يتهم الدين بأنه هو المذنب ، وهو المتسبب في هذا كله ؟

الواقع كما أشرنا من قبل ، ان الاتهام يجب أن يوجه إلىٰ فعل رجال الكنيسة وتصرفاتهم ، وإلىٰ علومهم المشوهة الناقصة البعيدة عن روح الدين ، معلومات مغلوطة ، أو خرافات لا أساس لها ، ألصقوها بالدين والدين منها براء ، فكيف ينسب هذا النقص الى الدين المسيحي نفسه ثم إلىٰ كل دين نحمله هذه التهمة وهو منها

[illegible]

الرحمن وتدبيره في الكون ثم نردد آيات الله العلي القدير ﴿ **وكل شيئ خلقناه بقدر** ﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿ **وكل شيئ قدرناه تقديرا** ﴾ وقوله : ﴿ **صنع الله الذي أتقن كل شيئ** ﴾ .

وإلىٰ هذا يرشدنا الدين . يرشدنا إلىٰ العلم وإلىٰ الحقائق في الكون ، لنكون علىٰ بينة من أمرنا ولنعلم أنه لا صحة لكل ما يدعىٰ من تعارض أو تناقض بين دين وعلم واذا وجد فالتناقض والتعارض في فهم أحد الطرفين المتنازعين . وفي المنهج الاسلامي لا أثر لهذا أبدا طالما أن المؤسسة المشرفة واحدة والمعلم واحد .

رابعا : الترابط أو (الصلة الوثيقة) بين الموجودات :

إن التوافق والانسجام التام الذي رأيناه يؤدي إلىٰ وجود الترابط بين هذه العناصر كلها ، طالما أنها فروع لاصل واحد لأن منهج التعليم الاسلامي يضع بين أيدينا هذه الحقيقة ، عندما يبين لنا أن هناك صلة وثيقة بين خالق الكون والكون والانسان المكلف باعمار الكون . لقد أسند رب العالمين خالق هذا الكون الخلافة فيه إلىٰ الانسان يمارسها بتوجيهات من عنده فقال تعالىٰ : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ..** ﴾ وبيَّن أن استخلاف الانسان في هذه الحياة إنما هو لتعمير الأرض واسعاد أهلها قال تعالىٰ : ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ..** ﴾ (هود) وقال : ﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾ فاذا كانت اقامة الانسان على وجه الارض استخلاف من

وإن منهج التعليم في الاسلام ما قام إلا ليخدم هذا الغرض ، ويحقق هذه الصلة ويؤكدها ، ويعرضها بشكلها السليم ، وصورتها الحقيقية كما ارادها الخالق سبحانه ، الذي خلق ، والذي سخر ، والذي قدر هذه الصلة وأمر بها . وبهذه الصلة تبدو العلاقة المنطقية بين العلوم كلها ، علاقة تعاون بل علاقة ترابط وصلة وثيقة بين موجودات الكون ، والعلوم التي تحيط بهذه الموجودات . وفي هذا الاتصال وتلك الصلة يبدو انسجام الكون مع نظام الكون ، كل مخلوق فيه يقوم بوظيفته التي كلف بها وخلق من أجلها . وتأتي العلوم كافة لتبرز هذه الوظائف ، وتدل عليها ، ولتقيم تلك العلاقات ، وتحكم الربط بينها ، فتعطي الناظر المتأمل تلك الصورة الجميلة البديعة لنظام الكون ، وهو علىٰ هذه الحال في غاية الانسجام .

ونخلص من هذا العرض لنقرر الحقيقة التي نريد أن نلفت الأنظار إليها وهي أن في شرع الاسلام منهج كامل للتعليم ، بتلك الخصائص التي عددناها والطبيعة التي لمسناها . منهج للتعريف بالكون ، والتعرف عليه ، يغاير المنهج الذي تعتمده أوربا ومن تابعها . هي تستخدم منهجها لغرضها الوحيد ، هو قطف ثمرات العلوم الطبيعية المادية فقط . هذا الغرض الذي أخذ بالابصار هناك فأعماهم عن رؤية الحقيقة ، وفهم الحقيقة ، وزادها عمىً موقف رجال الدين المسيحي المعارض المعاند الذي شوه الحقيقة ، وانتهت المساومة بين الطرفين المتصارعين علىٰ إقرار التشويه واعتباره هو الحقيقة .

وفي ظل الإسلام يستخدم منهج التعليم لأغراض أسمىٰ

وأرفع ، إنه يستخدم :

١ ـ لدراسة موجودات الكون والتعرف عليها باعتبارها آثار تدل علىٰ خالقها ومدبرها .

٢ ـ لمساعدة الانسان في إعمار الكون ـ إعمار الأرض ـ وتمكينه من الحصول علىٰ كامل الفائدة أو المنفعة من المسخرات التي أشار إليها رب العالمين في كتابه الكريم ، ودل الانسان المسلم عليها ليستخدمها هو وينتفع بها .

ولنستمع إلىٰ رب العالمين كيف يدل الانسان المسلم بصراحة تامة فيقول : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** .. ﴾ (الحديد) .

لمن يوجه الله سبحانه هذا الخطاب ؟ ولمن يقدم هذا الدرس عن الحديد ؟ ﴿ **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله** .. ﴾ فماذا يعني هذا الكلام .

لا شك أن الأمر يقتضي من الانسان المسلم لا سيما رجال الشرع وحراس العقيدة مزيدا من النظر والتأمل والتدبر في آيات الله في الكون ، وفي آيات الله في الكتاب الكريم لنصل إلىٰ الحقيقة ونقف عندها .

الفصل الثالث

منهج التعليم في البلدان الاسلامية

المبحث الأول : واقع انفصالي

المبحث الثاني : انفصال رسخ في الحياة

المبحث الثالث : ضرورة الخلاص

اسقاط التربية بالكلية في بعض البلدان أمام جموح وطغيان فكرة التعليم .

وعلىٰ هذا الأساس فإن التربية في ميزان منهج التعليم الحالي ، المعمول به في البلدان الاسلامية لم يعد لها دور يذكر ، ولم يعد يشعر القائمون علىٰ التربية والتعليم ضرورة الحاجة اليها بقدرما جذبهم بريق المادة إليه فانجذبوا ، وأصبح الهم الأكبر ومن له القسط الأوفر من العناية ، هو التعليم لا غير . وأي تعليم هذا الذي تأخذ به تلك المناهج وتهتم به ذلك الاهتمام ؟ .

إنه التعليم الذي يهتم بزاوية واحدة من زوايا الحياة إنه تعليم الخدمات والتعليم المهني وكلاهما ماديان واغراضهما مادية بحتة .

أما التربية فلا محل لها في هذا المنهج ، ويكفي أنها أخذت حصتها من الطلاب الذين انتسبوا إلىٰ المعاهد الدينية ، فالطلاب الآخرون وهم الذين يشكلون نسبة ٩٩٪ من مجموع الطلاب لا حاجة لهم إلىٰ تربية حيث لم تعد شيئا يذكر في ميزان المشرفين علىٰ التعليم . وقد يلقن هؤلاء الطلاب شيئا من التربية الدينية في مرحلة معينة وكفىٰ وبشكل هزيل وبفكر إنفصالي لا تؤتي ثمارها المرجوة منها أبدا .

في هذه الناحية الخطيرة ، يخالف منهج التعليم الحالي المنهج الاسلامي ، الذي يعتمد علىٰ الجمع بين التربية والتعليم ، في كل المراحل التعليمية المقررة لاعداد الانسان للحياة . ويحرص كل الحرص علىٰ بقاء هذا الجمع ، والحيلولة دون انفصالها ، مع تقديم التربية علىٰ التعليم في الدرجة . لأن التربية هي التي تهيئ الانسان

الصالح للتعليم ، مع بقائه محافظا علىٰ تراثه وآدابه وأخلاقه وعقيدته ، دون أن يفرط منها بشيءٍ ، بل يزيده التعليم تمسكا بها لأنها الاصول الاولىٰ لتنمية شخصيته ، وتنشئتها التنشئة الصحيحة ، وغرسها بالعادات والآداب والخلق التي يتوارثها الآباء عن الأجداد ، قد أخذها الجيل الجديد في دروس التربية ، ثم انطلق بها إلىٰ حلقات التعليم هنا وهناك ، انطلق إلىٰ التعليم وهو محصن تحصينا قويا من أن تتسرب إليه عادات أجنبية ، وطبائع أجنبية ، وميول غريبة .

لهذا السبب ، نصف منهج التعليم بواقع انفصالي ، واقع أخذ يمتد في الحياة ليعم ويشمل مرافق الحياة كلها ، فكان شرا وبلاء علىٰ البلاد والعباد ولابد من التماس وسيلة الخلاص بعد أن نقف علىٰ هذا الواقع المرير .

المبحث الاول
واقع انفصالي

المنهج التعليم السائد في بلادنا ، هو كما قلنا مقتبس عن المنهج التعليمي الأوربي ، وفي دراسة بعض خصائص هذا المنهج ، ندرك إلىٰ أي مدىٰ يخالف المنهج التعليمي الاسلامي المقترح للخلاص من واقعنا ، وإنقاذ الاجيال القادمة من أبنائنا . وأول هذه المخالفات أنه منهج انفصالي ، أي يقوم علىٰ مبدأ الفصل التام بين الدين والحياة ، حيث يقرر أن التعليم أمر مستقل عن الدين تمام الاستقلال ، وأن تعليم أمور الحياة لا علاقة له بالدين لأن الدين

بحسب نظرته إلىٰ الدين ، هو الذي يعتمد علىٰ الأمور الغيبية والقضايا الروحية وأن مسائله كلها تناقض مسائل العلم ولا تعترف بها . وبناء علىٰ ذلك تقرر هذا الانفصال ، وتقرر بالتالي أن الدين ليس له دور ولا مكانة في التأثير في الحياة أو تحريك الحياة أو توجيهها ، القيادة اليوم بزعمهم للعلم هو المحرك ، وهو الموجه . وساد الفكر القائل : الدين له طريقه والعلم له طريقه ، ولن يلتقيا كما ساد عند رواد هذا المنهج الأوائل ، أن من الضروري عزل الدين عن الحياة ، وحجزه داخل الكنيسة ، وإذا أطلقنا التعميم بعد سريان الفكرة إلىٰ بلدان العالم ومنها بلاد المسلمين ، أصبح لسان الحال والمقال يقول : يعزل الدين أي دين عن الحياة وحجزه داخل المعبد . وهذا واقع الحال في بلاد المسلمين أكبر شاهد علىٰ هذا المقال .

هذا الفكر يرشد بطبيعة الحال إلىٰ ما قوم عليه المنهج وهو ثنائية أو ازدواجية التعليم ، حيث هناك التعليم المدني يختص بالأمور الحياتية ، فيشمل كل ما يتعلق بالعلوم الطبيعية : علوم الصناعة والزراعة والعلوم الاجتماعية علوم القانون والمال والاقتصاد . وكذلك كل ما له علاقة بتنظيم شؤون الانسان في هذه الحياة .

وهناك تعليم ديني يختص به رجال الدين محله الكنيسة ومؤسساتها أو المعابد بصورة عامة ومؤسساتها التعليمية الخاصة بها . كل منهج منفصل عن الآخر تمام الانفصال بناء علىٰ هذه الفكرة التي تزعم أن علوم الدنيا لا تنسجم ولا تتوافق مع علوم الدين بل تناقضها وتعارضها ، فلذلك هما علىٰ طرفي نقيض لا يلتقيان .

ويتمسك بالدين ويتجمل بالاخلاق ، فاذا هو في وسط يختلف كل الاختلاف عن الوسط الذي يعيش فيه حياته ، ومعظم ساعات عمره ، ثم إذا هو خرج من الكنيسة إلىٰ المجتمع عاد سيرته الأولىٰ تاركا الدين وتعاليمه ، هاجرا الأخلاق وفلسفتها ، لأن ما وجده في الكنيسة ، لن يجده في السوق ولن يجده في المعمل ، ولا في قصر العدل ، ولا في أي دائرة من دوائر الحياة .

هذا واقع المجتمع الغربي ، صار واقعنا نحن في بلادنا التي تدين بدين الاسلام ، لأنا مشينا نفس الخطوات ، وسعينا السعي نفسه ، فوصلنا إلىٰ ما وصل إليه المجتمع الأوربي وأدركنا ما أدركه .

إن هذا الواقع الانفصالي إذا كان قد هدم المجتمع الذي نبت فيه فهو الآن يهدم باقي المجتمعات ويسير بها الىٰ هاوية الانحلال ، والتفسخ ، وفقدان الذات ، ومنها مجتمعنا المسلم ، وقد ظهرت ثماره في كثير من المجتمعات الاسلامية العربية وغير العربية وهو الآن في طريقه إلىٰ البقية الباقية من بلاد الاسلام ، فكأننا نحفر قبورنا بأيدينا ونحكم علىٰ أنفسنا بالفناء بأنفسنا . وقد قال الله تعالىٰ محذرا :

﴿ قل أؤنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ .

نعم نحسب أنفسنا أننا نحسن صنعا في تقليد المجتمع الغربي ، ومحاكاته ، في كل ما ظهر لديه من غث وسمين ، ومن خير وشر ، ومن خطأ وصواب دون تصفية ولا تنقية ، كحاطب ليل ، لا

الحقوق .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تبعه فصل آخر في وسط المجتمع ، هو تعامل الناس ، حيث لم يعد يتعاملون فيما بينهم علىٰ أساس الدين والاخلاق التي يأمر بها الدين ، وانما صار التعامل علىٰ أساس القانون الذي ينبذ الدين والاخلاق معا ويرمي بهما بعيدا خارج حظيرته المقدسة .

هذا ما آلت إليه الحال في البلاد التي سارت في هذا المسار ، لقد تأكد الفصل وترسخت مفاهيمه في كل ميادين الحياة ، ولم يعد للدين من وجود أو أثر إلا داخل المعبد فقط . لقد غاب نهائيا عن الحياة وإدارتها ، ليقبع بين جدران المعبد فقط . وهدمت فكرة الانفصال مفاهيم الحياة كلها ، بعد غياب الدين عنها ، وأصبح القانون يبيح الربا ، ويبيح الزنا ، ويبيح الخمر ، ويبيح الميسر ، وأصبح يبيح أكل أموال الناس بالباطل ، كما يشجع علىٰ السرقة والقتل بغير حق .. وهلم جرا .

كانت السلطة تهاب الدين من قبل ، فتتحرج في علاقاتها مع الشعب ، من سلب ملكية بعض الافراد ، أو حجز حريتهم ، أو الاعتداء علىٰ أعراضهم . أما وقد غاب الدين ، ولم يعد له سلطان في ميدان الحياة ، فلتفعل الدولة ما تشاء . مرة باسم الاستيلاء ، ومرة باسم التأميم ، ومرة باسم المصادرة ، ومرة ومرة طالما لا يوجد من يقول هذا حلال وهذا حرام .

هذه جرائم الفصل وهذا مآله في المجتمعات الانسانية . لقد جعل للحياة مفهومين ، وجعل للانسان ولاءين ، وجعل للتعامل

وجهين ، وجه في السوق فيه الربا وفيه الجشع والطمع ، ووجه في المعبد فيه التقىٰ والصلاح .

هذه الازدواجية المفتعلة حطمت الانسان ، وفككت وحدته إلىٰ أجزاء ، بل جعلته أشلاء . فصمت كيانه إلىٰ شخصيتين متميزتين ، بين كلمتين دين ودنيا ، فما أخطر هاتين الكلمتين عندما يساء فهمها .

هذه نقائص المنهج الانفصالي غير الاسلامي التي شوهت الانسان ، إذ نظرت إليه حيوانا ، حياته اشباع لنزواته ودوافعه من طعام وشراب وشهوة . أو ملاكا لا يتزوج ولا يغضب ولا يأكل ولا يشرب ..الخ . أو آلة انتاج ، عامل في معمل صنو الآلة ، بل هو الآلة ، لا إحساس له ولا شعور ، إنه جسم يتحرك لينتج ، وليأكل ، وليعيش كما يعيش فرد في قطيع .

إن تعدد الاتجاهات حول الانسان ، جعل كل اتجاه يهتم بجانب واحد من تكوينه ، إما عقله فحسب ، وإما روحه فحسب ، أو تكوينه العضوي فحسب ، وكل اتجاه يشد هذا الانسان إلىٰ صفه ليبقىٰ في محيطه أو داخل قفصه لا يخرج منه .

فعلوم الطبيعة تشد الانسان عاملا في المعمل ، أو المنجم والمخبر ..الخ .

وعلوم الدين تشده راهبا في الكنيسة لا يخرج منها ، يهجر الحياة وزينتها ..الخ .

وعلوم المادية الاشتراكية تشده إلىٰ حظيرتها لتقيم بينه وبين العالم حاجزا تمنع عنه كل اتصال فيما وراء جدرانها فلا يرىٰ النور

ولا يدري ما الحياة .

بعد هذا العرض لنعد إلىٰ أنفسنا إلىٰ اصالتنا لنجد أننا أمة ذات شخصية متميزة مستقلة ، لنا تربية مسلمة العقيدة والفكرة والآمال ، عربية اللسان والتاريخ والنظام ، تربية متكاملة تعيش مع الانسان كوحدة متكاملة متوازنة معه في جميع جوانبه التكوينية ، جسما في صحة وقوة ، وروحا في عقيدة فطرية ، وعقلا في علم وتفكير ، وسلوكا في خلق مستقيم ، فكيف نخلع هذا التراث العظيم ، لنلهث وراء هذا الحطام الذميم . مسكينة هذه الأمة كيف غدت بلا عقل ، ولا سمع ولا نظر ، تنقاد انقياد الدمية بين يدي مجموعة من الأطفال ، تترك عرينها وفيه العز والسؤدد ، وفيه العلم والفكر ، لتلعق من الماء الآسن أو تقتات من الفتات .

المبحث الثالث
ضرورة الخــــلاص

هذا هو المنهج الذي أخذت به البلاد ، وسار عليه العباد ، وتخرجت علىٰ يديه الأجيال طوعاً أو كرها . إنه منهج مستورد ، منهج فاسد كل الفساد ، أفسد أهله ، وها هو يفسد أهلنا وعشيرتنا ، بل يهلكهم ويدمرهم ، وهذه ضحاياه نشاهدها بأم أعيننا .

إنه بما يحمل من نقائص شوه الحياة بأسرها ، شوه تفكير الانسان كذلك إذ حطم فيه معاني الانسانية ، وأضله عن رؤية الحقيقة ، لقد أخذ عليه سمعه وبصره وحسه بدراهمه التي ينثرها ،

فغدت الهدف الوحيد . ولم يعد الانسان يرىٰ من حياته كلها إلا تلك الدريهمات المعدودات يعيش من أجلها ، ويقاتل في سبيلها . أما الروح فلم تعد عنده بحسبان ، كما أن الآخرة لم تعد تخطر علىٰ بال . يرىٰ الموت يخطف الناس كل يوم فلا يحرك فيه شعورا ، ولا احساسا . لقد تبلد الاحساس ، فلم تعد تهزه صروف الدهر ولا عبره ، ولم تعد تثيره أخبار الآخرة ولا ذكر الجنة والنار .

ونحن في مجتمعنا ثروتنا بين أيدينا ، وعلومنا ونظامنا في حرزنا ، فهل نبقىٰ علىٰ هذه الحال ؟ والخطر الذي يتدفق منه كل يوم ، نراه بأعيننا ، ونسمعه بآذاننا ، ولكن لا أدري هل نحسه بعقولنا ، فندرك أبعاده ووطأة الخطر الكامن فيه .

نريد الاصلاح ولكن كيف يكون لدعوة الاصلاح جدوى ، ومنهج التعليم يهدم كل إصلاح ، ويفسد كل صالح ، ويعبث بكل سليم .

السعي للخلاص يبدأ من إدراك هذا الواقع المرير . والايمان بضرورة التغيير ، وذلك حتىٰ نسير بصدق عزيمة ، وقوة شكيمة ، من أجل طرد المنهج الدخيل .

إننا بهذا المنهج نخرج أفواجا من الملحدين ولا ندري ! وإننا بهذا المنهج نقضي علىٰ الدين باسم حماية الدين . وإننا بهذا المنهج نضعف من أثر الدين في النفوس واحترامه ، ونحسب أننا نحسن صنعا ، وتلك النتائج شاهدة من يوم أن جاء هذا المنهج إلىٰ يومنا هذا .

وأعود فأكرر أن العلة والمصيبة ليست في العلوم ذاتها ، فهي

بريئة فلماذا نتهمها ؟ إن المصيبة العظمىٰ ، والطامة الكبرىٰ ، في طريقة تدريسها في منهج التعليم الفاسد . فهل نرجو منه خيرا ؟ إننا نردد دائما متىٰ الخلاص ؟؟؟

الباب الثاني

العلوم الطبيعية ودورها في الحياة

الفصل الاول : العلوم الطبيعية ودورها في التعريف بالكون والتعرف عليه

الفصل الثاني : أهمية العلوم الطبيعية في حياة الانسان

الفصل الثالث : ضرورة تدريس العلوم الطبيعية

تمهيـــد

أصبحت العلوم الطبيعية الشغل الشاغل للعالم أجمع وهذه الدول علىٰ اختلافها ضعفاً وقوة ، فقرا وغنىٰ ، تحاول الاشتغال بها ، وتبذل من أجل بحوثها ودراساتها المال الكثير ، بعد أن أبان عصر المكتشفات بواسطتها ، عن الكثير من خبايا الكون واسراره ، قامت علىٰ اعقابها تلك النهضة الصناعيةوالتجارية والزراعية علىٰ نطاق واسع ، وأفاضت علىٰ أهلها والعاملين فيها الثروات الطائلة والربح الوفير.

ونظرا لأهميتها في الحياة لابد أن نعرف دورها في التعريف بالكون وفي التعرف عليه وذلك من خلال منهج التعليم الاسلامي ، ثم نعرض لمدىٰ أهمية هذه العلوم للحياة البشرية فهي التي تزود الانسان بما هو بين يديه من وسائل انتقال ، وأدوات ومواد وآلات ، ساهمت كلها في التخفيف عن كاهله أعباء الحياة . ولا تزال تزوده كل يوم بفتح جديد ، أو بكشف عن مادة جديدة ، أو طريقة مبتكرة ، تيسر له السبيل ، أو تعود عليه بالربح الجزيل . وتبرز أهمية البحث في العلوم الطبيعية في منهج التعليم الاسلامي أنه منهج للحياة ولإعمار هذه الحياة . من أجل ذلك فإن دراسة العلوم كما هي ضرورية للانسان حسبما يراه المنهج غير الاسلامي الذي

استخدمها لغرضه الوحيد وهو التجارة والكسب ، فإن ضرورتها أشد في منهج التعليم الاسلامي الذي يرىٰ أن لها دورا آخر ومهمة أعظم . وإن كان يعتبر أن ما تقدمه من منافع نعمة لا يأبأها ، وتعبير عن فضل الله وإحسانه . وضرورتها هذه تنبع من ذلك الدور الذي تقوم به في حياة المسلم بصورة خاصة وحياة الانسان بصورة عامة ، وعليه نجد أن هذا الباب ينقسم إلىٰ الفصول الثلاثة التالية :

الفصل الاول : العلوم الطبيعية ودورها في التعريف بالكون والتعرف عليه .

الفصل الثاني : أهمية العلوم الطبيعية في الحياة .

الفصل الثالث : ضرورة تدريس العلوم الطبيعية .



الفصل الاول

العلوم الطبيعية ودورها في التعريف بالكون والتعرف عليه

المبحث الاول : تعريف العلوم الطبيعية وبيان ماهيتها ومكانتها في سلم المعرفة .

المبحث الثاني : دور العلوم الطبيعية في التعريف بالكون .

المبحث الثالث : دور العلوم الطبيعية في التعرف علىٰ الكون .

تمهيد

كان للعلوم الطبيعية شأن كبير في تعريف الانسان بالكون الذي يحتويه والوسط الذي يعيش فيه ، ثم بالتعرف علىٰ ما في الكون من موجودات ، وما يحمل من سنن وقوانين الحياة .

ففي الماضي البعيد ، كان الانسان لا يعرف مما حوله وما يحيط به إلا قليلا ، ثم ازدادت هذه المعرفة يوما بعد يوم ، وتوسعت بتقدم العلوم الطبيعية نفسها مع رقي الانسان في سلم الحضارة ، وتقدم الوسائل التي يستعين بها في سبيل الوصول إلىٰ هذه المعرفة . وهكذا عرف الانسان بفضل هذه العلوم كثيرا من موجودات الكون كانت بالامس مجاهيل بالنسبة له أما اليوم فغدت واضحة له وضوح الشمس في رابعة النهار .

لقد جلت هذه العلوم الكثير الكثير من أسرار الكون ، واستخرجت ولا تزال تستخرج الكثير من كنوزه ، ولقد لفتت انتباه الانسان إلىٰ الدور الذي يمكن أن تقوم به ، فاهتم بها ، وأقبل عليها ، حتىٰ غالىٰ بعضهم بتقديسها ، فجعلها هي العلم ولا شيء سواها ، ولكن المهم هو أن لها دورها ولها مكانتها في منهج التعليم الاسلامي . وفي هذا البحث بيان لدورها في التعريف بالكون والتعرف علىٰ ما فيه . نتكلم فيه عن تعريف العلوم الطبيعية وبيان

ماهيتها ومكانتها من سلم المعرفة ، ثم ننتقل إلىٰ بيان دورها في التعريف بالكون ، وأخيرا بيان دورها في التعرف علىٰ الكون .

المبحث الاول

تعريف العلوم الطبيعية وبيان ماهيتها ومكانتها في سلم المعرفة

اولا : التعريف بالعلوم الطبيعية :

١ ـ لغة : العلوم : جمع علم والمراد من كلمة العلم هو « المعرفة » .

الطبيعية : نسبة إلىٰ الطبيعة . وتطلق علىٰ كل ما يحيط بالانسان من الاشياء المادية والقوانين التي تحكمها .

والطبيعة موضع بحث مجموعة من العلوم كعلم الطب والهندسة وعلم الفيزياء والكيمياء والفلك . وكل ما تفرع عن هذه العلوم .

٢ ـ اصطلاحا : يمكن تعريف العلوم الطبيعية من عدة وجوه :

(أ) من حيث الطريقة : هي العلوم التي تهتم بقراءة هذا الكون ، آية فآية ، فتحصيها عددا ، ثم تتناول كل آية من هذه الآيات ، فتشبعها نظراً وتأملاً وتدبراً ، حتىٰ تكشف ما فيها من دلالات ، وتستخرج ما عندها من خيرات .

(ب) من حيث الغاية : هي العلوم التي تتولىٰ تعريف الانسان بموجودات الكون المحيطة به وجعلها في متناول يده .

(جـ) من حيث الوسيلة : هي استخدام الانسان لحواسه الخمس لدىٰ اتصاله بموجودات الكون ، ثم ترجمة ما تنقله هذه الحواس بواسطة العقل ، ليكشف عن ماهية هذه الموجودات وما

خفي عنه من احوالها ، وليحدد مدىٰ ومقدار التعامل معها ، وطريقة هذا التعامل . وتعريف آخر يمكن ايراده يقول : هي استخدام الانسان طريقة الوصف والمشاهدة لمادة من المواد التي تضمها الطبيعة وهي في معرض التحليل والتركيب بحيث يقف علىٰ ماهيتها وطريقة التعامل معها مع أوجه الاستفادة منها .

أما التعريف العام لها فيقول :

العلوم الطبيعية هي افراغ الجهد من قبل الباحث المختص للوقوف علىٰ حقيقة مادة من مواد الكون أو قانون من قوانينه علىٰ نحو يمكنه من استخدام هذه المادة أو هذا القانون لخدمة الانسان في هذه الحياة .

ثانيا : بيان ماهيتها :

من هذه الاطلاقات أو التعريفات للعلوم الطبيعية تبرز لنا ماهية هذه العلوم ودورها الحقيقي في الحياة الانسانية فقد رأينا أنها العلوم التي تطرق أبواب الحياة المادية من مجموع الحياة ، وأنها العلوم التي تتناول الكون جملة وتفصيلا ، تتناوله بالتشريح والتفتيش ، والبحث والتحري فيه ، لتسجل مشاهداتها عنه ثم تحدث عن أخباره . وهي تنقسم إلىٰ مجموعات من العلوم كل مجموعة منها تهتم بعالم من العوالم التي يضمها هذا الكون .

فعلم التشريح وفروعه يتولىٰ البحث والدرس في عالم الانسان . وعلم الحيوان وفروعه يتولىٰ دراسة عالم الحيوان . وكذلك فان علم النباتات وفروعه يتولىٰ دراسة عالم النبات . أما علم الفيزياء

والكيمياء ، فيتولىٰ دراسة عالم المادة « الجماد » والقوانين التي تحكمها بالاضافة إلىٰ دوره في مساعدة العلوم الاخرىٰ فيما تحتاج إليه من مساعدة .

ثالثا : مكانتها في سلم المعرفة :

لا أحد ينكر أهمية هذه العلوم ودورها في الحياة ، فهي علىٰ صلة وثيقة بحياة الانسان ، والانسان في حاجة ماسة للاستعانة بها ، ولا يكاد يستغني عنها بعدما اطلع علىٰ الدور الذي تلعبه في حياته ، كيف وهي في المنهج الاسلامي قد أصبحت أداة تعريف الانسان بما يحيط به من موجودات ، وتعريفه بصانعها ، ثم تعريفه بالغرض من إيجادها وكيف وبأي طريقة يمكن الحصول منها علىٰ المنافع التيتختزنها .

بعد أن وقفنا علىٰ حقيقة العلوم الطبيعية وخدماتها ، والمجال الذي تؤدي دورها فيه ، أمكننا أن نعرف نطاق عملها ومدىٰ ما يمكن أن نتناوله من هذا الكون إنه نطاق الكون فقط لا تتعداه وإنه القسم المادي من هذا الكون كذلك وإن عملها لا يتعدىٰ دور المترجم لنص أو المبين لمفرداته فقط ، وعلىٰ طريقتها التي حددتها طبيعة المواد التي تتعامل معها ، إنه دور الوصف للمادة التي تعالجها ، أو دور تعليل ما يظهره تحليل وتركيب هذه المادة من تغييرات .

وطالما أن هذا دورها ، فتقديرها يتحدد بحدود هذا الدور الذي تقوم به ، ولا يمكن أن نحملها ما لا تحتمله طبيعتها ووظيفتها ،

فلا يمكن أن ننسب إليها إيمان أو كفر ، وهي العلوم المحايدة ، المجردة البريئة من صفة الالحاد ، بل إنها إلىٰ الايمان أقرب منها إلىٰ الكفر .

وكذلك لايمكن أن نحملها دور الترجمان العام لتأويل الحياة كلها وكشف ما وراء الغيب من مخلوقات أو تنظيمات . فقد وجدناها لا تحتمل ذلك . وهي قاصرة عن القيام بدور لا تساعد أدواتها كلها ومعداتها علىٰ القيام به لأن من العبث الاعتقاد أن الجزء يحيط بالكل ، إذ المحاط لا يحيط ، كما أنها بمجموعها وسائر فروعها ، لا يمكن أن نحصر فيها مصادر المعرفة كلها ، حتىٰ عن الحياة الدنيا . إنها تخدم هذه الزاوية الصغيرة من الحياة الدنيا ، وهي الزاوية المادية فقط . وهناك مصدر المعرفة الأكبر وهو القرآن الكريم الذي نستمد منه معارفنا عن بقية الاجزاء من الحياة ، المصدر الأوثق الذي يغني منهج التعليم الاسلامي ويجعله أكثر ثراء في المعلومات ودقتها من المنهج غير الاسلامي .

أما العلوم الطبيعية كمصدر معرفة ، نجد أنها هي مساعد ، وهي مؤيد ، وهي شاهد ودليل ولكنها غير قادرة علىٰ التأويل ولا يمكن أن تقوم بالتحليل والتحريم .

المبحث الثاني
دور العلوم الطبيعية في التعريف بالكون

من التعريفات التي سقناها لبيان ماهيتها ، لمسنا هذا الدور الكبير الذي تحتله العلوم الطبيعية في حياة الانسان .

والسؤال الآن هل معرفة هذا الكون علىٰ هذا النحو الذي تقوم به العلوم الطبيعية مما يدعو إليه منهج التعليم الاسلامي ؟ وما هو دور هذه العلوم في ظل هذا المنهج في التعريف بالكون ؟

إننا لا نبالغ ونحن في مطلع البحث عن دور العلوم الطبيعية في التعريف بالكون في القول بأن العلوم الطبيعية هي عبارة عن تفسير لكتاب الله تعالىٰ ، تفسير من نوع خاص ، يختلف عن التفاسير المعهودة كل الاختلاف وإنها ترجمة للقرآن الكريم ترجمة فريدة تختلف عن سائر الترجمات المألوفة .

وإليك طائفة من الأوامر الصادرة عن رب هذا الكون تطلب منك أيها الانسان المسلم التعرف علىٰ الكون .

اقرأ هذه الأوامر بجد . وأدرس ما تتضمنه من طلبات لتدرك مدىٰ جديتها ، ولتدرك أن موقفنا منها موقف المتفرج ، فكأنه تبلد الذهن ، وشلت الذاكرة .

ألا نقلب صفحات هذه الأوامر الالهية وقد وردت بصيغ وأساليب عديدة .

(أ) هناك أوامر النظر تقول :

﴿ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، إنه علىٰ رجعه لقادر ﴾

﴿ فلينظر الانسان إلىٰ طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم ﴾

هل نفذنا مضمون هذين المطلبين ، فنظرنا إلىٰ الانسان مم

خلق ، وإلىٰ طعام الانسان كيف وجد ، وسطرنا الجواب إلىٰ صاحب الأمر بالاعتراف ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ .

ثم نوالي دراسة الأوامر الأخرىٰ :

﴿ **أفلا ينظرون إلىٰ الابل كيف خلقت وإلىٰ السماء كيف رفعت ، وإلىٰ الجبال كيف نصبت ، وإلىٰ الارض كيف سطحت** ﴾

﴿ **أفلم ينظروا إلىٰ السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ..** ﴾

﴿ **أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيءٍ ..** ﴾

﴿ **قل انظروا ماذا في السموات** ﴾

ولنحاسب أنفسنا ماذا فعلنا بهذه الطلبات ومتىٰ نعد لها الجواب .

(ب) وهناك أوامر الرؤيا تقول :

﴿ **ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع علىٰ الارض إلا باذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم ..** ﴾

﴿ **ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترىٰ الودق يخرج من خلاله** ﴾

﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود .**

ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك .. ﴾

إنها طائفة أخرىٰ من الأوامر الالهية ، نموذج آخر في الصيغة ، تحمل كلها طلب النظر والتأمل ، والدعوة إلىٰ التدبر .. فمتىٰ نعد الجواب ؟؟

وهذه مجموعة أخرىٰ بنموذج جديد ، تحمل نفس الدعوة ، انظروا ، فكروا ، تدبروا ، الدعوة موجهة إليك أيها الانسان المسلم ، فمتىٰ تجيب الدعوة ؟ ومتىٰ تلبي الطلب ؟؟

﴿ الم يروا إلىٰ الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾

﴿ أولم يروا إلىٰ الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيئ بصير ﴾

﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون .. ﴾

بعد هذا العرض لأوامر رب العالمين ، فلنعد إلىٰ العلوم الطبيعية لنر أنها استجابة طاعة لأوامر الله ، وتنفيذ لمشيئة الله ، وقيام بأعباء الخلافة . إن طلب النظر في معرض الكون ، ومشاهدة موجوداته ، بل جرد محتوياته ، واحداً بعد واحد ، وشيئا بعد شيئ ، ورد مرات عديدة كما رأينا ، وتنوعت عباراتها ، وتعددت لهجاتها في الحث علىٰ النظر .

وإذا دققنا في هذه الأوامر ، عرفنا كيف أنها تدعو إلىٰ النظر . وإن النظر الذي تدعو إليه ليس مجرد النظرة العابرة ، ولكن نظرة

العالم الخبير، الباحث المحقق والفاحص المدقق . ولقد أتقنا فن التحقيق في العبارات فلماذا لا نتقن فن التحقيق في الآيات .

تأمل في نوعية هذا الطلب :

﴿ أفلم ينظروا إلىٰ السماءَ فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج .. ﴾

ثم استمع للدعوة الصريحة :

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماءَ ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشىٰ الله من عباده العلماءَ إن الله عزيز غفور ﴾

وانظر من المقصود ، ومن المدعو للقيام بهذا النوع من الرؤية .

إن هذا كله من أجل أن يقف الانسان علىٰ اسرار الكون ونواميسه ، ويشاهد مصنوعات الخالق الصانع المدبر ، ليعلن بعدها نتائج النظر والمشاهدة ، وليردد بعدها مع أولئك الذين أطاعوا الأمر ، فنظروا وتفكروا في خلق السموات والارض ، فذكروا الخالق سبحانه فقالوا :

﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ .

إن هذا من أجل أن يستجيب الإنسان لأمر الخالق سبحانه :

﴿ وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون . ﴾

من يعرفنا بما في الارض من آيات وما في أنفسنا من هذه الآيات إلا العلوم الطبيعية التي تستقرئ هذه الآيات آية فآية ، آيات المواد ، وآيات النبات ، وآيات الحيوان ، وآيات السنن

الكونية ، ثم تعلن بعد هذا الاستقراء ، أن هذه المواد وهذه السنن كلها إنما هي صنعة الواحد الأحد الفرد الصمد .

هذه وظيفة العلوم الطبيعية وهذا موضوعها الأساسي إنه تعريف الانسان بكل ما يراه وما يسمعه ويتذوقه ويشمه أو يلمسه .

إنها تترجم له كل ما يقع تحت الحس ترجمة مادية ملموسة محسوسة لكنها موصولة بسبب إلىٰ السمآء غير مبتورة .

وهذا هو الفارق الكبير الذي يميزها عن العلوم المعروفة في المنهج غير الاسلامي . المنهج الاسلامي يعطيها دورها الحقيقي ، ويسند إليها أخطر الوظائف ، إن عملها أن تتناول الكون ككل ، فتعرف الانسان به علىٰ أنه عالم فسيح مديد ، عالم زاخر بالموجودات ، مليئ بالنواميس والأسرار يحيط بالانسان من سائر الاتجاهات . الانسان والعوالم التي تصاحبه يقيمون علىٰ جزء منه يسير هو الارض في مرحلة من الحياة اسمها الحياة الدنيا .

ثم تتناول بعد هذا الاجمال في التعريف أجزاء الكون جزءا فجزء وذلك بالتحليل لكل المواد التي تتمكن من إخضاعها للتجربة والسيطرة عليها داخل المخبر . وبالوصف لكل شيئ لا تتمكن من تحليله وتركيبه ، وعرضه علىٰ أجهزة المخبر .

إن عملها هذا هو قراءة للكون من نوع خاص ، قراءة لسطور القدرة الالهية في هذا الكون ، علىٰ مرأىٰ ومسمع البشرية ، باللغة التي تفهمها البشرية ، من أجل أن تسوقها إلىٰ الخالق الصانع المدبر .

ومن الذي يستخدم هذه العلوم ؟

إنه الانسان يسألها فتجيبه ويستفسرها فتعطيه ، ويمسك بها فتكشف له عن الخيرات المودعة علىٰ وجه الارض ، وتستخرج له الكنوز المخبوءة في باطنها .

نصل بعد هذا العرض لدور العلوم الطبيعية في ظل المنهج الاسلامي إلىٰ القول :

إن العلوم الطبيعية عماد الحياة لذا فهي عماد الدين . تزرع في القلب عظمة الخالق ، والخوف من الخالق والشوق إلىٰ الخالق ، والاخلاص للخالق سبحانه وتعالىٰ .

هي عماد الدين طبعا بمفهومها الاسلامي ، وبدورها الاسلامي ، وبمنهجها الاسلامي ، وبما أعطاها القرآن الكريم من قوة ، وأودع فيها من قدرة علىٰ دفع الانسان إلىٰ الطريق المستقيم ، النظر فيها عبادة ، إذ يحرك الأشواق إلىٰ بارئها حمدا وتسبيحا وتكبيرا :

﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾

نعم إن دورها التعريف بالكون ، ولكن في ضوء القرآن الكريم ، مصدر المعرفة الأصلي للمسلمين . تترجم الموجودات المنثورة في هذا الكون ، ولكن دون أن تنزعها عن مكانها الذي أقيمت فيه أو تعزلها عن الأصل الذي تستمد منه حقيقتها ، ووجودها ، واعتبارها .

المبحث الثالث
دور العلوم الطبيعية في التعرف علىٰ الكون

بعد أن عرفنا الكون وما فيه من موجودات سماوية وأرضية . ثم

عرفنا أنواع الموجودات الارضية من إنسان وحيوان ونبات وجماد .
ثم عرفنا ما في عالم الحيوان من أنواع الطيور في الفضاء ، والانعام والوحوش في البر ، والاسماك في البحر . وعرفنا أصناف النبات ، وكذلك أصناف الجمادات كلها من معدن علىٰ اختلاف أنواعها ومن أحجار علىٰ اختلاف أشكالها وألوانها ومن أشياء وأشياء تفوق الحصر . يأتي دور هذه العلوم في التعرف علىٰ الكون ، أي التعرف علىٰ موجوداته هذه بأشكالها وتعدادها بأصنافها وزمرها ..الخ . بأن تتناول منه واحدة واحدة فتضعها تحت المجهر ، وتتناولها في المخبر مراقبة وتحليلا وتا . إنه التعرف علىٰ كل مادة ، وعلىٰ كل ما يعتريها من أحوال ، وما يطرأ عليها من تبدلات ذات أثر في ماهيتها أو في وصفها ..الخ حتىٰ يميز ما بين مادة أخرىٰ من فروق في الوصف والتركيب ، ثم ليعرف خواص كل مادة ، وما يميز طبيعتها ووظيفتها ، أي ما يمكن الاستفادة منها ، فطبعا لكل مادة دور في هذه الحياة ، ولها وظيفة تخدم بها الانسان .

إنها تقوم بدور الترجمان لمواد الكون ، كي يتم الاستخدام لها ، والانتفاع بها من كافة وجوه النفع التي تحملها ، وعلىٰ أحسن وجه ممكن لهذا الانتفاع .

وبفضل هذا الدور الذي قامت به العلوم الطبيعية تم ما نشاهده من آلات وأدوات ومواد ، ساهمت مساهمة كبيرة في خدمة الانسان وعونه علىٰ الحياة . لقد خففت عن كاهله كثيرا من المصاعب ، ووضعت عنه كثيرا من المتاعب ، وسهلت له سبل العيش . حصل بواسطتها علىٰ وسائل المواصلات ينتقل بها من مـــكـــان لآخـــر ويحمـــل

عليها أثقاله ، وأهدته أدوات تساعده في عمله وفي مسكنه ، وقدمت له خدمات جلى في معالجة أسقامه .

إن هذه العلوم التي تكشف لنا عن هذه الموجودات ، وعن القوانين التي تحكمها ، تعتبر جزءا من الدين ، ما قامت إلا بتمكين من رب العالمين ، ليعمر الانسان بها الارض ، ولينعم بما أودع الله له فيها من خيرات .

إنها بما قدمت من مواد وأدوات ، وبما قدمت من تعريفات وترجمان لموجودات الكون ، جعلت الانسان يعيش علىٰ بصيرة من الحياة ، لقد عرف بفضلها ما حوله وما فوقه وما تحته ، أزاحت عن عيونه حجب الجهل والمخاوف ، فزالت خشيته من الكون ومن موجوداته ، كان في القديم يخاف الطبيعة ويفزع منها . يعبدها خوفا منها ، واتقاء شرورها ، واسترضاء لها ، هكذا كانت تذهب به الظنون والأوهام ، إلىٰ أن أذن الله سبحانه لهذا الانسان أن يصل إلىٰ هذه المرحلة من النمو ، ويصعد إلىٰ هذه الدرجة من الرقي ، ويقف علىٰ هذه الألوان من المعرفة .

الله سبحانه ذكرنا في القرآن الكريم بموضوعات العلوم الطبيعية ، وبالعلوم نفسها ، ذكر من موضوعاتها الشيء الكثير ، مما هو علىٰ وجه الارض ، أو في باطنها ، وما هو في أجوائها وفي سمائها ثم ذكرنا بالعلوم نفسها .

ويزداد في نظرنا دور هذه العلوم في هذا التعرف ، عندما نعود إلىٰ القرآن الكريم ، فنجد أن الله سبحانه وتعالىٰ جعلها وسيلة التحقق من الموجودات التي بسطها في هذا الكون ، علىٰ أنه هو

صانعها ، وهو موجدها ، لأنها هي التي تتولىٰ النظر في الاشياء ، والتفكير فيها ، ثم تعطينا النتيجة والحكم .

إن هذا الدور الذي تؤديه العلوم الطبيعية هو ترجمة هذا النظر الذي حصلنا عليه ، والفكر الذي وصلنا اليه . إن موضوعاتها كما هو معلوم لدينا :

١ ـ في الكيمياء : الحديد والنحاس والرصاص والماء والهواء ، وكذلك النبات والحيوان ، وكذلك الحجر والتراب ..الخ

٢ ـ وفي الفيزياء : قوانين الضوء والحرارة ، والصوت والجاذبية ، والمغناطيس والكهرباء ..الخ

٣ ـ وفي الجغرافيا : الارض وما تحمل علىٰ سطحها من جبال وسهول ووديان ومن أنها وبحار وبحيرات ..الخ

٤ ـ وفي الفلك : فالافلاك المطلة علينا تترجم أخبارها وتحاول الوقوف بقدر الطاقة علىٰ أنواها وتعدادها وتصنيفاتها ، ثم تعليل نظامها ووظائفها وخدماتها التي تنفع الانسان .

٥ ـ وفي علم طبقات الارض : تغوص في أعماق الارض لتروي لنا تركيبها الباطني وما تختزنه في جوفها من خيرات .

إننا بهذه الاحاطة لما تقدمه لنا العلوم الطبيعية ندرك أنها تقوم بدور كبير وكبير جدا . واذا رجعنا إلىٰ القرآن الكريم نجد كيف لفت النظر إليها وأمرنا بها وبين أنها طريق المعرفة والادراك . فاذا كان من وسائل العلم النظر نجد الدعوة إلىٰ النظر قائمة :

﴿ فلينظر الانسان مم خلق ﴾ ﴿ أفلا ينظرون إلىٰ الإبل كيف خلقت وإلىٰ السماء كيف رفعت وإلىٰ الجبال كيف نصبت وإلىٰ

الارض كيف سطحت ﴾ ﴿ فلينظر الانسان إلىٰ طعامه ﴾ واذا كان من وسائل العلم السمع والفؤاد ، نجد الاشارة إليهما كنعمة وضرورة استخدامها :

﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ﴾ إنه يذكرنا بهذه الوسائل كثيرا ويمتن علينا بها وما ذلك إلا لنتعرف علىٰ الكون الذي وضعنا فيه ، ولنحكم موجوداته ونسخرها لقضاء مصالحنا ، والقيام بمهمتنا في إعمار الارض .

ويذكرنا باستخدام السمع والبصر والفؤاد في إدراك انفسنا وإدراك مخلوقاته المبثوثة من حولنا .

والخلاصة من هذا العرض الذي قدمنا ، يظهر ما للعلوم الطبيعية من شأن كبير في منهج التعليم الاسلامي ، طالما أن لها الدور الكبير في التعرف علىٰ الكون ، وطالما أن موضوعاتها كذلك لها الدور الكبير في حياة الانسان ، وبالتالي أن لها منزلتها في دين الاسلام الذي جعلها موضع عناية ورعاية واعطاها ذلك الدور الكبير في الحياة ، إنه دور الشهادة ، حيث أنها تعمل علىٰ إظهار الادلة ، الأدلة علىٰ وجود الصانع الخالق المدبر ، والأدلة علىٰ وحدانيته وقدرته وتدبيره ، وأدلة صفاته سبحانه بأنه السميع البصير ، والحكيم الخبير ، وأنه ذو الجلال والاكرام .

إن اعتماد القرآن علىٰ جعل موجودات الكون شهود الاثبات في القضية الكبرىٰ ، قضية الوجود والوحدانية لله رب العالمين لا يتحقق ذلك علىٰ أجلىٰ صورة وأوضحها إلا باستخدام العلوم

الطبيعية في التعريف بهذه الموجودات ، وابراز ما فيها من دقة الصنع ، واحكام الصنعة لتدع لسان الباحث والرائي والسامع يقول :

﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾



الفصل الثاني

أهمية العلوم الطبيعية في حياة الانسان

تمهيـــد

ظهرت بعض المعارف في مجال العلوم الطبيعية علىٰ مر الزمن في الامم الماضية واختلفت درجة ما توصلت إليه كل أمة عن الامم الأخرىٰ وعلىٰ كل حال بقيت هذه المعارف التي حصلت عليها الأمم السابقة محدودة جدا إذا ما قيست بما تفجر علىٰ أيدي الباحثين في عصر النهضة في اوربا .

لقد مهد لهذه النهضة ما قام به المسلمون من دراسات في مختلف مجالات العلوم الطبيعية وبما ترجموه من مؤلفات السابقين وبما قاموا به بأنفسهم من جهد بذلوه في تجارب وبحوث فتطورت علىٰ أيديهم هذه العلوم تطورا كبيرا وقد برز من العلماء في هذا الميدان عدد كبير نذكر منهم :

– ابوبكر الرازي : اشتهر بالطب كما اشتهر في الكيمياء حتىٰ قال بعض الباحثين أن الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معا ، توفي في بغداد ٩٣٢م ٢٣ .

– الخوارزمي : هو محمد بن موسىٰ الخوارزمي من مشاهير العلماء الرياضيين العرب ظهر في عهد المأمون أقام في بغداد وولاه الخليفة منصب بيت الحكمة . كان أول من ألف في الحساب والجبر والفلك وكتابه « الجبر والمقابلة » أول كتاب ألف في الجبر .

ومنهم جابر بن حيان ، وابن سينا ، والحسن بن الهيثم وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم وتعداد ما ساهموا به في ميدان العلوم الطبيعية .

هذا ما وصلنا إليه بالامس علىٰ أيدي علمائنا الافذاذ فهل نستطيع اليوم أن نستعيد مكانتنا العلمية .

الجواب : نعم نستطيع إذا أخذنا بالمنهج الاسلامي في التعليم في مدارسنا ومعاهدنا .

ها هي أوربا في عصر الانفتاح علىٰ الحضارة الاسلامية أيام السلم أو أيام الحرب ، نقلت عنا هذه العلوم فكانت بذور النهضة والمكتشفات العلمية التي ظهرت فيما بعد وانتشرت ، ولا يشك أحد من البشر أن تقدم أوربا وتفوقها ، كان بفضل عطاء وسخاء هذه العلوم ، فقد أذهلت الانسان فيما قدمت وتقدم له في سبيل تسهيل حياته وتيسير أسباب العيش فيها وفي سبيل تمكينه من الرقي بوسائل العيش ايضا .

لقد كان دورها عظيما بالنسبة للنهضة الصناعية التي أحرزتها الامم النشيطة فقد بدأ ظهورها علىٰ أيدي الباحثين ، لما توصلوا إلىٰ بعض المكتشفات في وقت مبكر دفعهم ذلك إلىٰ مزيد من الجهد والنشاط للحصول علىٰ مزيد من المكتشفات . وأخذت الأمم تتسابق في هذا المضمار وتشجع عليه وتنفق من أجله الاموال الطائلة .

وهكذا بدت أهمية العلوم الطبيعية ظاهرة للعيان ، لا يستطيع أن ينكرها إلا من لا زال يعيش في القرون الأولىٰ .

١ ـ هذه الأهمية للعلوم الطبيعية كما نلاحظها جميعا تبدو بصورة عامة في مشاهداتنا اليومية فيما تنقله إلينا الصحف والمجلات والكتب المتخصصة من أخبارها ، وعرض للخطوات البشرية السريعة التي تخطوها في هذا السبيل في جميع انحاء العالم المتقدم .

ولسوف تظهر أهميتها أكثر إذا اتبعنا المنهج الاسلامي في التعليم ، وتم تدريسها وفق هذا المنهج . إننا إذا أخذنا بالمنهج الاسلامي ، فسيكون للعلوم الطبيعية شأن آخر ، ويبرز دورها الحقيقي في حياة الانسان . لذلك يجب السعي لأن يوضع المنهج الاسلامي في التعليم موضع التطبيق ، لأنه هو الذي يحتوي هذه العلوم احتواء سليما ، والذي يضعها في مهدها ، ويضمها إلىٰ عائلتها من علوم الشريعة ، لتعود إليها الروح ، فتعود إليها حياتها الانسانية ، وغرضها الانساني ، فتعمل في ظل الاسلام ، لتقدم الخير للمسلمين وللعالم أجمع .

أما إذا تركت هكذا منفصلة عن الدين كما هو واقع المناهج الحالية بعيدة عن الروح فلسوف تصبح مصدر الخر والشر علىٰ البشرية . وقد أذاقتنا بعضا من نتاجها ، لقد كان من نتاجها الحرب العالمية الأولىٰ ثم الحرب العالمية الثانية وهذه البشرية تتوقع بين حين وآخر اندلاع الحرب العالمية الثالثة . فهل من يفكر في الخلاص ، والسعي لانقاذ البشرية من هذا الخطر المرتقب .

طبعا إن المعول عليه في ذلك ، هو الانسان الذي يستخدم العلوم الطبيعية ، والتكييف الذي يصرفها إليه ، هو يجتهد فيها ليقدم للانسان وسائل الفتك والتدمير إن كانت نوازع الشر تسيطر عليه

وتحكمه ، أو أنه يصرفها إلىٰ إنتاج الخير وتقديم المزيد من وسائل وأدوات تعين الانسان علىٰ الحياة ، إن كانت نوازع الخير هي التي تسيره .

وحياة الانسان الطبيعية اليوم كما كانت عليه بالأمس فإذا كنا نعيب القرون الأولىٰ والقرون الوسطىٰ لما تمثله من جهل وتأخر في حياة الانسان ، وطغيان وتحكم لدى الحكام ، حتىٰ إنهم ادعوا الالوهية فزعموا أنهم الآلهة علىٰ وجه الارض .

فان حياة الانسان اليوم ليست أقل خطرا وأقل ذلا . واذا كانت المفاهيم قد تبدلت فاننا نراها تسير إلىٰ التحكم من الوجه الآخر لتعود الحياة سيرتها الاولىٰ إن لم نتدارك ذلك الخطر بمنهج الله الذي أنزل من أجل إنقاذ الناس من ظلم الناس .

حقيقة الحياة إذن ليست كما عليه حياة الناس في هذا الواقع المرير ، الذي يحمل الظلم ، ويحمل الطغيان ، ويحمل الأثرة والأنانية ، وكل مذهب يطلع علينا بوجه كالح أسود يخفي حقيقته ويروغك كما يروغ الثعلب .

إن حقيقة الحياة الانسانية ، هي كما رسمها المنهج الاسلامي لحياة الانسان علىٰ وجه البسيطة ، حياة ملؤها السعادة والخير ، وموصولة وصائرة إلىٰ حياة كذلك مترعة بالخير إن هي استقامت ، وقامت علىٰ الطريق المرسومة ، والمنهج المقرر . في هذه الحياة كما مر معنا في فصل التربية نجد :

١ ـ الانسان أخ الانسان ومن هذا الأساس ينطلق في التعامل معه .

٢ ــ الانسان صديق للعوالم التي تشاركه هذه الحياة وحبيب إليها ، يدخلها برفق وحنان ، وأمن وسلام ، فيأخذ منها ما يأخذ ، ولكنه لا يستطيع فهم لغة هذه العوالم ، والتخاطب معها مباشرة . ماذا يأخذ ، وكيف يأخذ ، وهل تسمح له في الأخذ أم تمنع .

هنا يظهر للعلوم الطبيعية أهميتها ومكانتها ، لقد قلنا إنها الترجمان للانسان وهو في أحضان الطبيعة ، هي التي تطرق له أبواب العوالم وتسأذن له بالدخول ثم تمهد له طريق الدخول وهكذا يدخل الانسان الطبيع يتجول في أرجائها ويسبر اغوارها ويركب متنها كل ذلك بواسطة العلوم الطبيعية ومعونتها .

إن العلوم الطبيعية اللسان الذي يترجم للانسان كل مقال من مقالات الطبيعة ، ويصف له كل مشهد من مشاهدها ، واليد التي ترسم له مخططات السير فيها ، فتملأ سمعه وبصره وقلبه بآيات الاعجاب من كل ما يسمع ويرىٰ .

وإذا ما بلغ الانسان في مشهد من مشاهدها نهاية المطاف ، همست بأذنه همسة الاعجاب والدهشة من إتقان النظم ودقة الصنعة وقالت : هيا إلىٰ الصانع .

٢ ــ وهنا نلمس لها أهمية أخرىٰ كذلك ، إنها الطريق إلىٰ الله ، إلىٰ الايمان بالله سبحانه . هو الذي رد البشرية إلىٰ الطبيعة لتسألها فتقودها العلوم الطبيعية إليه ، إلىٰ الايمان به ، والايمان بوحدانيته وقدرته وارداته وتدبيره ..الخ

أيها الانسان المسلم انظر في رحاب تلك العلوم كما أشرنا إليها من قبل واسأل نفسك : ما هي مادتها ؟ وما هو موضوعها ؟ وما هو

محل بحثها وجهدها ؟ وفتش عما تهتم به وتشتغل فيه : ترىٰ أنه ما علىٰ سطح الارض من أشياء وما في باطنها من كنوز ، وما في فضائها من سنن . انظر إلىٰ كل علم من علومها وماذا يفعل الباحث في رحابها .

هذا علم الكيمياء يدرس الباحث فيه المعادن بأنواعها ، والمواد العضوية علىٰ اختلافها ، يتناول فيها تركيب الانسان والحيوان والجماد .

وهذا علم الفيزياء يدرس الباحث فيه قوانين الصوت والضوء ، وقوانين الحرارة والكهرباء ، وهكذا سائر أنواع العلوم وفروعها ، حتىٰ اذا ما تم هذا كله واحطنا بهذه المواد كلها معرفة وفهما ، فان هذه العلوم تجعلنا ندرك تماما ما يعبر عن حقيقة واحدة في هذه المصنوعات علىٰ اختلافها ، هو أنها نسيج وحده ، وأنها ذات طابع فريد ، تدل وتوحي وتشي وتنطق بأنها نتاج مصنع واحد ، يد واحدة أبدعتها ، وصانع واحد سواها . والأمر كذلك في القوانين التي تحكمها تدلنا علىٰ أنها تنتسب إلىٰ ذات الصانع الذي صنع تلك المواد من حيوان ونبات وجماد ووضعها بين يدي الانسان العاقل المفكر .

ولذا فان التأمل في تلك الموجودات ، بعد أن بسطتها العلوم الطبيعية علىٰ مرأىٰ عين الانسان وسمعه ولمسه تقود الانسان العاقل ، أي تقود أولي الألباب في كل زمان وفي كل شعب من شعوب الارض ، ليتفكر في خلق السماوات والارض ، وفي خلق ما في السماوات وما في الارض ، ولتتحرك فيه مشاعر الفطرة ،

مشاعر الايمان والاحساس بالقدرة والوجود ، وجود الخالق المدبر ، وهيمنته علىٰ هذا الكون . وهو يتلو :

﴿ له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرىٰ ﴾ (طه)

ومن ثم تتحرك شفتاه وينطلق لسانه بكلمة الايمان « ربنا » مؤمنا موقنا بالوجود الالٰهي ، ثم ليعترف « ما خلقت هذا باطلا » إن وراء هذا الخلق حكمة وتقدير وتدبير ، فيصل عند ذلك إلىٰ نهاية الشوط ، بأنه الذي بيده كل شيءٔ ، فيطلقها مدوية في ارجاء القلب ، وفي أرجاء الوجود ، حقيقة واحدة « سبحانك » لتتلوها الاستغاثة والاستعانة « فقنا عذاب النار » .

إلىٰ هذا تقود دراسة العلوم الطبيعية ، تقود إلىٰ الاعتراف بالوجود ، وكذلك إلىٰ الاعتراف بالوحدانية .

إن هذه المواد بعد أن ترجمتها العلوم الطبيعية وحلت ألغازها ، وكشفت أسرارها فدلت علىٰ وجود صانعها . فإنها كذلك تقوم بنفس الدور ونفس المهمة لتدل علىٰ الوحدانية كما تحكي أيضا قدرته العظيمة المطلقة التي ما فوقها قدرة .

هذه هي موضوعات العلوم الطبيعية ، إذا كانت بيد الباحث المسلم ، وخاضعة لمنهج التعليم المسلم ، تكون دليل وجود الصانع الخالق المدبر ، ودليل وحدانيته ، ودليل قدرته . ودليل صفاته انه السميع البصير وانه العليم الخبير . لأن المتأمل والمفكر يدرك أن مثل هذا لا يصدر إلا عن الخالق الواحد المدبر ، الذي تفرد في الخلق والتدبير ، العليم الذي لاحد لعلمه ، المريد الذي لا حد لارادته ،

السميع البصير الذي لا حد لسمعه وبصره ، إنها صفات الكمال المطلق .

واذا استطاع الاعرابي في الجاهلية ، بعد قليل من النظر والتأمل ، أن يحرك لسانه بما استجاش في كيانه ومشاعره ليقول :

« البعرة تدل علىٰ البعير ، وأثر الاقدام يدل علىٰ المسير ، فسماء ذات ابراج ، وأرض ذات فجاج ، ، أفلا يدل كل هذا علىٰ اللطيف الخبير ؟ »

فكيف بمن يغوص في ملك الله ، ويطلع علىٰ عجائب صنعه ، وآيات تدبيره ؟؟

بعد تدبر قوله تعالىٰ . ﴿ **أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض** ﴾ قال بعض العارفين : « النظر في المصنوعات من أقرب القربات » وقالوا : « من تفكر في عجائب المخلوقات كان من المقربين » .

واذا كان هذا ما تقدمه لنا العلوم الطبيعية فما رأي القارئ الكريم ، الانسان المسلم ؟ هل وجد لها من أهمية في حياته ، وهل لها وزن واعتبار في محيط اعتباره ؟

وما رأي الانسان من شعوب العالم وهو يدرس العلوم الطبيعية في البيئة الاسلامية وتحت رعاية المنهج الاسلامي في التعليم ؟

ما ذنب هذا الانسان ؟ أليس الذنب ذنب المناهج الانفصالية ، ذات النظرة المادية ومن وراء هذه المناهج ؟

هل الانسان السليم عقلا وروحا يأبىٰ الحقيقة ، أو يأبىٰ التسليم بها بعد إقامة الحجج والبراهين ؟ لقد أصبح استخدام العلوم

الطبيعية ضرورة بنص القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ ، فهل يتبدل الموقف منها ؟ كما يتبدل أسلوب الاتصال بها .

ألا تحمل الينا علامات الايمان وشاراته ولا سيما إذا سطرتها أيدي المسلمين ، واذا خاضت غمارها عزائم المسلمين وإذا أقيمت مخابرها ومعاهدها بجوار مسجد المسلمين حيث يسمع العابد قوله تعالىٰ : ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات** .. ﴾ ويسمع قوله تعالىٰ : ﴿ **أفلا ينظرون إلىٰ الإبل كيف خلقت وإلىٰ السماءٓ كيف رفعت** .. ﴾ ويسمع قوله : ﴿ **فلينظر الانسان مم خلق** ﴾ .

عبارات تحمل الأمر والحض علىٰ النظر ، فيذهب تنفيذا للأمر إلىٰ المدرسة ليسمع ، وإلىٰ المخبر بجواره لينظر ، وهكذا يقوم مجتمع الايمان من مجمع الايمان : المسجد والمعهد والمخبر . وتقوم العلوم الطبيعية علىٰ أيدي المسلمين ، تواصل الجهد الذي بدأوه . تخدم الايمان ، وترسخ الايمان ، وتنشر الايمان .

٣ ـ إن بحوث العلوم الطبيعية طريق الايمان بالله رب العالمين ، فمن يعلم ذلك ، ومن يدري بذلك ؟

نعم الواقع خلاف ذلك فما السبب ؟ السبب أنه لم يؤخذ بمنهج الاسلام في التعليم ، لذلك لابد من إصلاح المناهج الدراسية في العلوم الطبيعية ، لتسير علىٰ منهج الاسلام .

إن إصلاح المناهج في البلدان الاسلامية ، دعوة إلىٰ العودة للمنهج السليم الموحد ، الذي لا يفرق بين الكتاب الذي يدرس المصنوعات والكتاب الذي يعرف بالصانع سبحانه وتعالىٰ .

والمنطق يقول : هل يمكن التفريق الابعاد والتمزيق ؟ من الذي

يبتعد عن الآخر؟ هل يتخلىٰ الخالق عن مخلوقاته فيتركها، ويهملها، ولا يعبأ بها، ويتنكر لها، ولا يعرّف خليفته بها؟ أم أن المخلوقات تتنكر لخالقها، وتبتعد عنه، وتتبرأ منه، وتقطع علاقتها به.

وإذا كانت البشرية تسير في جنون محكم، وقادة هذا الجنون تسموا بالعلماء، وهم الذين تدين لهم البشرية. فأبشر بمسيرة في الحياة قادتها هذا الصنف من الناس، إلىٰ أين تقود ركب الحياة؟

إن علىٰ المسلمين ألا يقفوا صامتين جامدين وهم جيش إنقاذ العالمين. عليهم أن يسرعوا للامساك بزمام الحياة، وقيادة ركب الحياة، قبل أن ينقلب مركب الحياة. الرسول ﷺ علمنا فقال: «.. إن أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعا وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا»[1]

ونعود هنا فنقرر: الله سبحانه وتعالىٰ هو الخالق، وهذه مخلوقاته وضعها بين أيدينا، ندرسها ونتأمل فيها، ونتعرف عليها، لتدلنا علىٰ خالقها وصانعها، فنزداد بها قربا إليه. ونزداد بها إيمانا به، ونعلم عن يقين أنه خالقنا أيضا. وبذلك تقوم الصلة بين الانسان والحياة، ويتم التآلف بين الطبيعة والانسان إذ تساويا، حيث الجميع مخلوقات الله سبحانه.

ثم نتأمل ونقول: ماذا فعلت العلوم الطبيعية؟ هل أحسنت أم

---

(١) من حديث: مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها. فكان الذين في اسفلها اذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ جيراننا .. الحديث.

الاحترام والتقدير . وكلما خطونا مرحلة في الدرس والبحث ، ووقفنا علىٰ نقطة مثيرة تحمل دليل الاعجاز والقدرة لابد أن نذكر الصانع المدبر الذي أتقن الصنع وأحكمه وهكذا .الخ . عند ذلك نحس أن دراسة هذه المادة أو القانون تعطي الدارسين الدليل علىٰ وجود الخالق ووحدانيته ، أو علىٰ الأقل تذكرهم بوجوده ، وتقودهم إليه .

أما الازدواجية التي تسير عليها المناهج الحالية ، وهذا العزل الرهيب الذي عزلت بموجبه دراسة المخلوقات عن خالقها فلم تشر إليه من قريب ولا بعيد ، بل تنكرت لكل صلة بينهما أو رابطة ، إن هذا ليس ذنب العلوم الطبيعية ، إنما هو ذنب الانسان الذي فرق فلم ينسب إلىٰ الله الخلق والتكوين ، ولم ينسب إليه الاحكام والتدبير ، وكان هذا هو الوضع الخطير.

لقد قال أصحاب هذا المنهج المتبع : الطبيعة فعلت ، والطبيعة أوجدت ، والطبيعة قدمت . أما من قلد ولا زال علىٰ بقية باقية من خلق ودين، فقد أقر الفصل والعزل مع أن الحق والمنطق والعدل والانصاف يقول بالوصل ، الوصل بين الخالق والخلق في كل ميدان في المسجد وفي المعهد وفي المخبر.

هكذا كان لسوء الفهم دور في التهوين من قيمة العلوم الطبيعية ومن أهميتها لدى المسلمين ، ولا نبرئ أنفسنا فنحن الملومين بأننا خدعنا فاستسلمنا للأفاكين الذين يحاربون الدين ، كل دين دون تفريق ، وكان الواجب أن نسأل ونفحص ونمعن النظر كما عودنا علىٰ ذلك رب العالمين في الذكر الحكيم .

الفصل كان سبة للانسان وتهمة له ، تدل علىٰ انحراف من سلك هذا المنهج وبعده عن الصواب ، أو غفلة من قلد دون تفكير ، فمن سخر لك شيئا ما لتنتفع منه ، وتستفيد منه ، فالواجب يحتم عليك أن تلتزم الطريقة التي وضعها لتنتفع به ولا يجوز لك أن تضع له نظاما آخر من عندك فتؤدي إلىٰ ارتباك الشيء ، وارتباك حياتك ، واستياء من وضع هذا الشيء بين يديك . وان فكرة العداء بينهما « الدين والعلم » وعدم اللقاء ، فكرة دخيلة علىٰ المنهج العلمي الصحيح ، فكرة كانت نتاج سلوك منحرف ممن كان وصيا علىٰ الدين ، فكرة نبتت في أوربا نتيجة هذا السلوك المنحرف ، فوقع العداء ، وحصل الصدام والصراع ، وانتهىٰ بالفصل بينهما ، وقالوا أن لا تلاقيا . والغريب في ذلك أنه كيف رضيها المجتمع وأقرها .

والأغرب من ذلك أنها كيف دخلت بلاد المسلمين بدون ضجة ، وفي غفلة من حراس الشريعة ، وحماة الدين .

لقد كان الفصل مصابا أليما ، وكان إقرار الفصل والرضا به أشد ألما علىٰ العقيدة ، وأشد وقعا علىٰ الدين . أفمن يصاب بدينه كمن يصاب بدنياه ؟

إن مصاب الدنيا هين ، لكن مصاب الدين عظيم ، ولقد أصبح الواحد فينا يمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، ويصبح مؤمنا ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .

وأشد غرابة أن يرضىٰ بها المجتمع المسلم ويقرها علىٰ أنها الأمر الطبيعي والمنهج السليم علىٰ الرغم من أن فسادها بين ، وخطأها

واضح كل الوضوح .

وسبب ذلك كله النقل بلا وعي ولا بصيرة ، لم يعقبه تمحيص للمنقولات وتحليل ، بل كان التسليم المطلق من قبل الناقلين في الظلام ، الذين تفرنجت عقولهم ، والسكوت المطلق من قبل حراس البلاد والقوام علىٰ الدين . وكان من وراء ذلك الطامة الكبرىٰ ، التي ساقت المجتمع المسلم الىٰ شر مستطير. كم يتألم المصلحون من أجل الاصلاح ويسمعون فلا يفلحون . يريدون الاصلاح صادقين ولكن ضلوا الطريق .

أيها المصلحون ليس أمامكم من سبيل لاصلاح المجتمع إلا باصلاح مناهج التعليم في تعلم العلوم الطبيعية والعودة بها إلىٰ منهجها الاصيل ، منهج الوحدانية الذي يجمع في كتاب واحد ودرس واحد التعرف علىٰ الصانع من خلال التعرف علىٰ مصنوعاته ، وهذا يتطلب أمرين اثنين :

ـ الكتاب المسلم يعرض مواد العلم علىٰ حسب ترتيب هذا المنهج الموحد .

ـ المعلم المسلم الذي يحكم الربط في تدريسه بين المصنوعات وصانعها والتعريف به وهو يعرف بها ، هناك تكون أعظم مناسبة للتعريف بالخالق والتعرف علىٰ الخالق ونحن بصدد التعريف بمخلوقاته .

من أجل ذلك تبدو أمامنا أهمية العلوم الطبيعية ، وأهمية تدريسها وعرضها وفق منهج التعليم الاسلامي ، فماذا نفعل اليوم ؟ وقد استبانت الحقيقة؟ أنسكت عن هذا الواقع . أم نستحث الهمم

ونستنهض العزائم للاصلاح ؟ وكم ينادي بالاصلاح كثير ولكن أين الطريق ؟ هذا هو الطريق لمن أراد . وهذا يسوقنا إلى الكلام عن ضرورة تدريسها الذي سيكون موضوع الفصل الثالث بإذن الله .

الفصل الثالث .

ضرورة تدريس العلوم الطبيعية

تمهيـــد

لقد أدركت أمم العالم أهمية هذه العلوم . ورأت هذا العطاء الذي منحته للمجددين ، حتىٰ أصبح وجودها رمزا لتقدم تلك الأمة ودليلا علىٰ رقيها في سلم الحضارة البشرية ، ومن أجل ذلك تسابقت الأمم في البذل من أجل الحصول علىٰ كمية منها ، بعد أن أدركت ضرورتها ، وأدركت أنه لا مناص لأمة أرادت الرقي والتقدم إلا أن تحوز من هذه العلوم علىٰ نصيب ، تستطيع به أن تجاري أمم العالم ، فتتكلم بلسان العلم ، وتستخدم وسائل العلم .

وكانت الناحية المادية « الربح » هي التي أثارت اهتمام العالم ، وحركت منه العزائم ، فاندفع كله تقريبا المتقدم منه والمتأخر يقرر تدريس هذه العلوم في مدارسه ، ويجعلها الاساس في منهاج تعليمه ، تتقدم علىٰ سائر المواد الأخرىٰ . وأخذت الدول المتقدمة تزيد من مراكز البحث وتشجع عليها ، كما أخذت الدول المفتقرة ترسل وفود الطلاب إلىٰ البلاد المتقدمة لتحصل علىٰ حظها من هذه العلوم . ونرىٰ مدىٰ إدراك الأمم لضرورة تدريسها في ذلك الميل إلىٰ إقامة الجامعات والمعاهد ومراكز الابحاث ، ثم المصانع التي تستخدم نتائج الابحاث في انتاجها .

ونريد أن نعرف هل في الشريعة الاسلامية ما يدعو إلىٰ ضرورة

تدريسها ؟

اولا : اهتمام الاسلام بتدريسها :

إذا كان تدريس العلوم الطبيعية يحظىٰ بهذه الدرجة من الأهمية في البلدان غير الاسلامية فإن منهج التعليم الاسلامي يعطي تدريس هذه العلوم اهتماما أكبر لأن لها في هذا المنهج دورا أعظم مما هي عليه في البلدان غير الاسلامية . واذا كان يرىٰ في الناحية المادية مما تقدمه العلوم الطبيعية شيئا حسنا ، تسد حاجة من حاجات الانسان ، وتكون عونا له علىٰ الحياة ، فإنه يرىٰ ضرورة تدريسها كذلك لما هو أهم من هذا الغرض وهو الجانب الأهم من المادة في حياة الانسان المسلم وأكثر اشتغالا به فالناحية المادية لا يعيرها اهتمامه إلىٰ حد كبير يزيد عن الحد المطلوب فيحجب الغرض الاساسي من تدريسها . هذا الجانب هو جانب النظر في هذا الكون ، والتأمل بمقوماته وموجوداته ، والوقوف علىٰ حقيقتها ، وإدراك كنهها ، ثم التفكر في نتائج ما تنطق به . والعلوم الطبيعية هي التي تقوم بالدور الرئيسي في هذا المجال وتساهم مساهمة فعالة في ايصال الانسان إلىٰ النتائج التي يسعىٰ إليها لتسوقه بعدها إلىٰ صاحب هذا الكون الكبير.

ثانيا : وظيفة العلوم الطبيعية :

لقد جعل الاسلام من موجودات الكون أدلة الاثبات علىٰ وجود الله سبحانه ، وعلىٰ وحدانيته وقدرته ، وعلىٰ علمه وإرادته ..الخ ووظيفة العلوم الطبيعية كما رأينا مما سبق هي ترجمة

أدلة الاثبات . وإذا كانت أدلة الاثبات أكثر من أن تحصي :

في كل شيءٌ له آية   تدل علىٰ أنه الواحد

فإن العلوم الطبيعية هي التي تقوم بترجمتها ترجمة صادقة صحيحة هي التي تستقريءُ موجودات الكون وتقوم بفحص كل مادة من مواده والتعرف عليها .

كيف تركبت ؟ ومم تألفت ؟ وما تحتويه من العناصر؟ وما تتصف به من الصفات ؟ وما يعتريها من التحولات ، ثم ما تقدم للانسان من خدمات .

لقد تضمنت تلك الترجمة ما في كل مادة دقة الصنع ، ودرجة الاتقان ، جعلت الانسان يقف مشدوها أمام هذا التركيب العجيب ، والصنع البديع ، وجعلته يحس بعجزه وقصوره عن أن يأتي بمثلها مهما بذل .

واذا كانت المناهج غير الاسلامية لم تقدر أن تعطي الثمرة من هذا الذي توصلت إليه ، فإن المنهج الاسلامي هو الذي يستطيع أن يقدم للعالم الثمرة الغالية لهذه العلوم ، « الحقيقة الكبرىٰ » وذلك في ترجمته تلك القدرة وذلك الاتقان الترجمة الصحيحة المطابقة للواقع تمام المطابقة . إنه لا يترك البشرية في دوامة الحلقة المفقودة لا تجد لها بداية ولا نهاية ، أو متاهة المادة لا تدري من أين الدخول ، ولا من أين الخروج ، ولا يقول : الطبيعة أوجدت ، والطبيعة ساوت والطبيعة أعطت والطبيعة منعت . ولا يقول في كل مكتشف قهرنا الطبيعة ، وسيطرنا علىٰ الطبيعة ..الخ فيضلل الناس أو يزيدهم ضلالا .

إن المنهج الاسلامي إذ يضع الناس جميعا أمام الحقيقة التي تنطق بها هذه العلوم نفسها ، وتلك المواد التي كانت موضع البحث والدرس في مخابر تلك العلوم . يترجمها الترجمة الصادقة الأمينة ، ويرد الأمر إلىٰ صاحب الأمر ، ويعيد الحق إلىٰ نصابه فيقول بكل صراحة ووضوح : إن ما بين أيدينا هي آثار تدل علىٰ صاحبها الذي أودعها متحف الكون . هي مخلوقات تقول أن لها خالقا ، وهي مصنوعات فلابد من صانع صنعها ومبدع أبدعها . وهذا هو المنطق الحق والقول السليم . كلها تقول وكلها تشهد بلسان واحد أن صانعها علىٰ مستوى عالٍ من القدرة تفوق كل قدرة ، وطاقة تفوق كل طاقة ، وعلم يفوق كل علم تملكه البشرية المخدوعة .

هو الله الذي لا إله إلا هو الواحد القهار ، الذي زود البشرية بتلك المواد ، وزود البشرية بتلك العلوم ، وأعطاها تلك الطاقة والقدرة علىٰ البحث والتحري لا لتخون وتنحرف ، وإنما لتشهد وتعترف ، ولتستدل بها عليه ، وتستهدي بها إليه ولتقول : ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ (آل عمران ١٩١)

ثالثا : العلوم الطبيعية عبادة الفكر :

الانسان خلق للعبادة فكانت وظيفته الاساسية ، وغاية خلقه ووجوده ، وكانت العبادة علىٰ أنواع بين كيفيتها ، وزمانها ، ومكانها الله سبحانه خالق الخلق ، ومالك الملك ، ومدبر الامر . وكان من بين هذه العبادات التفكير والتأمل والنظر ، بل هي رأس

العبادات كلها ، والقائد إليها ، وهذا النوع من العبادة محله عالم الشهادة ، يجتهد فيه الانسان ما شاء الله له أن يجتهد .

١ ـ التفكير في النبات :

يكون الانسان المسلم في زراعة ارضه ، أو يكون في الدراسة والبحث لنوع من أنواع النبات ، ولكنه مع التأمل والتفكير والتدبر فيما توحي إليه أنواع النبات ، وأشكال النبات ، واختلاف الطعم واللون والرائحة ، وفيما توحي إليه دورة النبات ، وما تعطي الانسان من إيماءات عديدة ، ايماءات القدرة الالٰهية ، وايماءات حياة الانسان ، بأنها دورة كدورة نبات من هذه النباتات ، ايماءات البداية والنهاية ، وايماءات الحياة والموت والفناء ، وأخيرا ايماءات البعث بعد الموت . كما يدعو إليه منهج التدريس الاسلامي .

هذا كتاب الله يلفت النظر إلىٰ ما يخرج من الارض من أصناف النبات ، ويذكرنا بالنخيل وتلك الجنات التي تعج بأنواع الفاكهة ، ويدعونا كذلك إلىٰ النظر إليها عند حمل الثمر وعند نضج الثمر النظرة الفاحصة المتدبرة لنرى فيها آيات تسوق قلوب الناظرين إليها إلىٰ درب الايمان . فيقول :

﴿ وهو الذي أنزل من السماءٓ ماءٓ فاخرجنا به نبات كل شيئ ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا إلىٰ ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم

يؤمنون﴾ (الانعام ٩٩) ويخاطبنا في آية أخرىٰ ليدلل علىٰ نعمة الماء التي جعلها شراب للانسان وسقاية للمزروعات لينبت به كل ما تراه أبصارنا من أنواع الزروع وليكون آية لمن يتفكر فيما يرى ويمعن النظر فيقول :

﴿ هو الذي أنزل من السمآء مآء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (النحل ١٠ ـ ١١)

وينتهي من هذا التدبر لما رأى ليرىٰ إلىٰ أين المساق . ثم يزيد هذا الاستدلال في عرض صارخ اللون قوي الدلالة يقسر الفكر علىٰ تعميق النظرة فيضع الانسان أمام هذا المعرض العجيب من آثار القدرة وإعجاز الصنعة فيقول :

﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوىٰ علىٰ العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمىٰ يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ، وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان ، يسقىٰ بمآء واحد ، ونفضل بعضها علىٰ بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (الرعد ٢ ـ ٤)

ثم يدفعنا دفعا إلىٰ الفحص والدرس والبحث لنرافق كتاب الله وهو يشرح لنا المراحل التي يمر بها طعامنا لندرك كم فيها من لمسات القدرة الالٰهية التي لولاها لما ذاق الانسان طعاما ولما بقي حيا علىٰ

[illegible]

۸ – [illegible]

[illegible]

ركوبه ، ومنها لساعات سروره وساعات بأسه ، فإن ذلك التفكر والنظر فيه من الايحاءات للمتأمل والمفكر ما يحمل علىٰ العبرة والعظة التي تذكر الانسان بالصانع الذي سواها واليد التي اسبغت عليه فأمدته بكل هذه النعم . الحيوان عالم كبير يشبه عالم الانسان دعانا الله إلىٰ تدبره وإدراك حقيقته فقال :

﴿ وما من دابّة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيءٍ ثم إلىٰ ربهم يحشرون ﴾ (الانعام ٣٨)

ومن هذه الأمم يعرض لنا القرآن الكريم أنواعها وأصنافها فيقول :

﴿ والله خلق كل دابّة من ماء فمنهم من يمشي علىٰ بطنه ومنهم من يمشي علىٰ رجلين ومنهم من يمشي علىٰ أربع يخلق الله ما يشاءُ إن الله علىٰ كل شيءٍ قدير ﴾ (النور ٤٥)

إذن في النظر والتأمل في عالم الحيوان بأنواعه ، مجال للتعرف علىٰ قدرة الله . الانسان عالم واحد بشكل واحد ، أما الحيوان فهو عالم يضم عوالم وأمم ، فهناك الحيوانات الهوائية « الطيور » ، وهناك الحيوانات البرية ، وهناك الحيوانات البحرية ، وهناك من كل صنف أنواع وأشكال . فالطيور أنواع عديدة ، والحيوانات البرية أكثر تنوعا ، فمنهم من يمشي علىٰ بطنه « الزواحف » ، ومنهم من يمشي علىٰ رجلين فقط وهو كل ما أشبه الطير مع عدم قدرته علىٰ الطيران ، ومنهم من يمشي علىٰ أربع كالأنعام والحيوانات الأهلية والبرية . وكذلك الحيوانات البحرية في تنوعها واختلافها في الشكل واللون .

إن هذا العالم بما يحويه من عجائب الصنع ، وبدائع الخلق والتكوين أما يستحق النظر فيه والتأمل ، وإعمال الفكر والتدبر ، فهناك الحشرات المتناهية في الصغر إلىٰ الحيوانات الضخمة المتناهية في الكبر ، وهناك التي تتكاثر بالبيض ، والتي تتكاثر بالتوالد ، واستمع إلىٰ تعداد أوجه الانتفاع بها واستخدامها يذكرنا الله تعالىٰ به فيقول :

﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلىٰ بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ (النحل ٥ ـ ٨)

﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلىٰ حين ﴾ (النحل ٨٠)

﴿ وأوحىٰ ربك إلىٰ النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ (النحل ٦٨ ـ ٦٩)

وإن التفكر في هذا العلم أيضا يسوقنا إلىٰ طريق الايمان ويدفعنا إلىٰ درجة اليقين ، وتكون العلوم التي تدرس هذا العالم والتي تبرز ما فيه من أصناف وأنواع وأشكال فتبين أصنافه وتحصي أنواعه وتضبط أشكاله ، ثم تشرح خصائصه وتعدد فوائده وميادين

استخدامه من علوم الايمان وترجمانه ، والمنهج الاسلامي هو الذي يقوم بتنظيم تدريسها في هذا الاطار الذي يجعلها تسوق الانسان إلىٰ محراب الايمان ، وتضعه بين يدي الخلاق ذي الجلال والاكرام . وتكون كلية الزراعة بقسميها النبات والحيوان مزرعة الايمان ومستنبت اليقين .

٣ ـ التفكير في الجماد :

واذا انتقلنا إلىٰ عالم الجماد ولدينا دعوة إلىٰ زيارته وارتياد ساحاته من صاحبه ومالكه ومبدعه ، خالق الخلق ومالك الملك ، إنها دعوة صريحة إلىٰ التأمل والتفكر والتدبر فيه والتأمل فيما توحي إليه أنواعه وأشكاله وألوانه ووظائفه واختلاف منافعه ، التفكر في كل جزء من أجزائه وكل مادة من مواده ، ماذا تحمل من ايحاءات وإيماءات في خلقها وفي نظامها وفي مقاديرها وفي تركيبها وفي مزجها ..الخ ، وهذه الارض التي تحمل كل هذا من إنسان وحيوان ونبات وجماد أليست هي وما عليها برهان القدرة الاُلهية .

﴿ أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (النمل ٦١)

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السمآء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ (فاطر ٢٧ ـ ٢٨)

﴿ **أفلا ينظرون إلىٰ الابل كيف خلقت وإلىٰ السماء كيف رفعت وإلىٰ الجبال كيف نصبت وإلىٰ الارض كيف سطحت** ﴾ (الغاشية) .

وهكذا بالطواف علىٰ هذه العوالم نجد فيها المجال الواسع للتفكير والتدبر إنها بالحقيقة محراب العبادة الذي دعانا إليه رب العالمين للتعبد فيه بالفكر وبالنظر وبالتأمل . ثم الدعوة إلىٰ أن ينظر الانسان في نفسه ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ (الذاريات ٢١) ﴿ **فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه علىٰ رجعه لقادر** ﴾ (الطارق) الله سبحانه يجعل لنا الكون كله محرابا للعبادة ، ويطلب منا أن نمارس العبادة فيه مستخدمين بذلك السمع والبصر والفؤاد .

هذه العبادة إن كان باستطاعة الأمي أن يقوم بها فينظر ويتأمل ويصل إلىٰ ربه كما ردد الاعرابي : الاثر يدل علىٰ المسير والبعرة تدل علىٰ البعير ..الخ فإن النصيب الأوفىٰ من هذه العبادة يبقىٰ من حظ المتعلمين لأنها عبادة تتطلب الانسياح في أرجاء الكون ، والتعمق في أغواره والغوص في أعماقه ، ولأن الله سبحانه يريدها أن تكون نظرة العالم الباحث المحقق المدقق ، وفكر العالم المستنير وتأمل المتثبت الخبير . فالدعوة إلىٰ الغوص في أسرار الكون وفيما يحمله نظامه وتقديره وتدبيره من تساؤلات وايحاءات . وإن هذا الغوص وذاك التعمق هو مهمة العلوم الطبيعية التي تمثل الوسيلة والأداة بيد الانسان المسلم ليقوم بهذه العبادة وأداء هذه الطاعة .

هذه العلوم الطبيعية التي لها في منهج التعليم الاسلامي وزنها

واعتبارها ، وقد رأينا مدى ضرورتها ، وأنه لا غناء للانسان المسلم عنها تفتح عينيه على آيات الكون وتنير بصيرته في تدبيره وتقديره . والمسلم لا يريد ولا ينبغي له أن يعيش في الكون أعمى أصم وأبكم وقد ملك البصر والسمع واللسان . وقد جاءه الامر من ربه ورب الكون أن انظر فيما خلقت لك ، وفكر فيما أعددت لك ، وتأمل فيما صنعت لك ، وقد أعطيتك السمع والبصر والفؤاد ، وإني سائلك يوما هل استخدمتهم لعبادتي والنظر في ملكي ، ثم بعد كل هذا ألا يدرك المسلم أهمية العلوم الطبيعية ، وضرورة تدريسها في مدارس المسلمين . لطلاب علوم الدين بصورة خاصة ، وغيرهم من الطلاب بصورة عامة ، وأن لها في منهج الاسلام شأن واعتبار فمتى نصحو علىٰ هذه الحقيقة ؟ ومتى نتمسك بها ؟ ومتى تأخذ دورها في الحياة ؟؟ إن فهم الحياة وموجودات الحياة من خلال ما تعطيه العلوم الطبيعية من وصف وترجمة لها ولموجوداتها وفق منهج المسلمين ، وليس كما تدرس اليوم على طريقة الكافرين ، هو الذي ينقذنا من عار الجهل والذل ، ويضعنا على درب الحياة ، على الصراط المستقيم ، وعندئذ يكون للأمة المسلمة الخلافة حقا ، أو أنها تصبح قادرة علىٰ حمل أعباء الخلافة ، تعرف حقيقة الحياة كلها ، حياة المادة وحياة الروح ، حياة الدنيا وحياة الآخرة ، فتقود الناس ، وترشد الناس ، وتكون خير أمة أخرجت للناس .

ومع وضوح الموقف من تدريس العلوم الطبيعية وأنه ضرورة ملحة لتأخذ الأمة المسلمة طريقها فتتسلم القيادة والريادة في هذا العالم ، يسوقنا الكلام إلى الحديث عن طريقة تدريسها وهو موضوع الباب الثالث .

الباب الثالث

طريقة تدريس العلوم الطبيعية

الفصل الاول : الهدف من تعليم العلوم الطبيعية

الفصل الثاني : طريقة التدريس

تمهيد

أوضحنا في الباب السابق أهمية هذه العلوم ودورها في الحياة مما لفت إليها أنظار الأمم تحاول أن تتزود منها ، وتظفر بنصيب من ثمراتها ، ورأينا أنه اذا كان الاهتمام بها هو رائد الامم في الشرق والغرب ، كونها علامة التقدم ورمز الرقي الحضاري . وأن الغرض منها هو الاستغلال المادي . وهذا هو الاتجاه الغالب والمسيطر على حس الأمم ، فإن الدين الاسلامي يعتبر أكثر أنظمة العالم اهتماما بها ، ولكن مع اختلاف الغرض أو الهدف . وبما أن رسم طريقة تدريسها يعتمد أول ما يعتمد عليه على الأغراض المتوخاة منها ، لذلك كان لابد من عرض الهدف من تدريسها في ظل منهج التعليم الاسلامي أولا ثم عرض طريقة تدريسها التي تنسجم مع تحقيق الهدف المتوخى منها ثانيا بعد أن عرفنا الهدف في منهج التعليم غير الاسلامي :

الفصل الاول

الهدف من تعليم العلوم الطبيعية

يهدف تدريس هذه العلوم في ظل المنهج الاسلامي إلىٰ تحقيق أغراض عديدة ، وهذه الأغراض المتوخاة من تدريس العلوم الطبيعية تبرز لنا أهميتها ومكانتها في منهج التعليم الاسلامي ، الذي ضيعه المسلمون أنفسهم يوم أن فقدوا مركزهم القيادي في ميدان العلم والتعليم ، وأخذتهم سنة من النوم عن كل ما خلفه لهم أجدادهم . وقفزت دول أوربا إلىٰ مركز القيادة العلمية والثقافية فجعلتنا لها أتباعا بل جعلنا بأنفسنا فكرها وفنها لنا إماما وأستاذا . وفي عرضنا لهذه الأغراض نجد أنها تهدف إلىٰ تحقيق الأهداف التالية :

اولا : أن تكون سلم الوصول إلىٰ بناء العقيدة :

الاعتماد علىٰ العلوم الطبيعية للوصول إلىٰ هذا الهدف هو منهج القرآن الكريم الذي اتخذ من ظواهر الطبيعة التي يشاهدها الناس في حياتهم اليومية ، ومن الأشياء المحيطة بهم المنثورة في هذا الكون ، والتي فيها معاشهم ومنافعهم وقضاء حاجاتهم ، دلائل الايمان بالله واليوم الآخر . إنه جعلها شهود الاثبات في قضية الالوهية ، قضية الوجود وقضية الوحدانية والقدرة ، وجعل النظر فيها طريق الوصول إلىٰ اليقين واثبات الحقيقة الاولىٰ :

﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ (الذاريات ٢٠ ـ ٢١)

﴿ **إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب** ﴾ (آل عمران ١٩٠)

في هاتين الآيتين شهد الله لمن ينظروا في هذه المصنوعات

ويتفكروا فيها ويتدبروا أنهم هم اولو البصيرة والعقل الراجح ، فبعد أن قال : لآيات لاولي الالباب ، عرّف من هم أولو الألباب فقال : ﴿ **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلىٰ جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ وجعل من صفاتهم أنهم يذكرون الله ، ويتدبرون خلق السموات والارض وما في السموات والارض ليصلوا من تفكرهم هذا وتدبرهم إلىٰ الحقيقة الكبرىٰ ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلا ..** ﴾

فهذا الخلق كله وذلك التدبير كله يشير إلىٰ ما وراءه ، فهو الجد ليس بالهزل ، وهو الحق ليس بالباطل ، وليس بعد قول الله ورسوله مقال .

هذا هو منهج القرآن فكيف نحيد عن هذا المنهج ونقول إننا مسلمون ، إن علىٰ الانسان المسلم أن يلتزم الحدود فلا يتعداها ، ويقف عند أوامر الله فلا يتخطاها ، وأولو الالباب من الناس هم الذين عرفوا هذا فوقفوا وتضرعوا إلىٰ الخالق المدبر « سبحانك » طالبين السلامة والنجاة « فقنا عذاب النار » .

والآن وبعد هذا البيان صار بامكاننا أن ندرك أن أكثر الناس تفكرا في السموات والارض ، وبحثا فيها وسعيا وراء الحقيقة هم العلماء العاملون الذين أطالوا النظر في السموات وما تضمه هذه السموات ، درسوا الشمس والقمر ، والأفلاك وحركتها وتأثراتها وصلتها بحياة الانسان علىٰ وجه الارض .

هذا حال العالِم المسلم كما وصفه رب العالمين ، يذكر الله

ويتفكر في مصنوعات الله . وانظر إلى هذا الربط بين الذكر والتفكر ومدى هذه اليقظة التي بعثها الدين في النفس وتأمل أين محل التفكير؟ هو خلق السموات والارض وما تنطق به من حكمة وعظة .

لقد أدركوا من دراساتهم هذه أوجه الارتباط بين السماء والارض وعرفوا ما ينجم عن ذلك من منافع لسكان الارض ﴿ **لتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾

وكذلك نظروا في الارض ومحتوياتها ، ما تحمل علىٰ سطحها وما تكتنز في باطنها ، عكفوا علىٰ دراستها واحدة فواحدة ، تأملوا في طريقة صنعها ، ودقة تركيبها ، وأسلوب الوصول اليها ، وتقصوا أوجه الانتفاع منها .

واذا كان للناس عامة أن ينظروا وبامكانهم أن ينظروا ويفكروا ، ودعوة القرآن الكريم عامة تشمل الناس جميعا ، لأن الناس جميعا مكلفون بسلوك هذا الطريق للوصول إلىٰ الايمان الحقيقي ، الايمان الثابت الراسخ الذي لا يأتي عن تقليد ، وإنما عن البحث والتحري وإعمال النظر ، والتفكير طويلا للوصول إلىٰ اليقين . إلا أن القرآن الكريم خص بالذكر العلماء منهم وبين أنهم أشد الناس خشية من الله وأقرب الناس منزلة عنده .

﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السمآء مآء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور** ﴾ (فاطر ٢٧ ـ ٢٨)

واذا كانت كلمة العلماء عامة تشمل كل العاملين في مجالات العلم دون تمييز فاني أرىٰ أن العلماء المشتغلين بعلوم الارض المسماة بالعلوم الطبيعية هي الفئة الوحيدة من أصناف العلماء المسلمين التي تعتبر منفذة لأمر الله مستجيبة لطلبه في النظر والتفكر والتدبر ﴿ **فلينظر الانسان مم خلق** ﴾ (الطارق) ﴿ **أفلا ينظرون إلىٰ الابل كيف خلقت ، وإلىٰ السماء كيف رفعت ، وإلىٰ الجبال كيف نصبت وإلىٰ الارض كيف سطحت** ﴾ (الغاشية)

وإن هذه الطبقة من العلماء التي تربت علىٰ منهج الاسلام هي التي فهمت المراد من هذه الدعوة في كتاب الله فبادرت إلىٰ تنفيذ الأمر ، وقامت بالنظر المطلوب ، والرؤية المقصودة . لقد علمت أنها دعوة إلىٰ التأمل في هذه المخلوقات وإفراغ الجهد من أجل الوقوف علىٰ حقيقتها بأنها مصنوعات ، وأنها متناهية الدقة في الصنع ، وأنها علىٰ غاية من الابداع ، وأن القدرة البشرية تعجز عن صنع مثلها ، وأنها خاضعة لنظام صانعها وأنها ضمن هذا الاطار من سنن الكون لا تتخطاه .

وإن كل هذه الحقائق يتوصل إليها هؤلاء العلماء في مختبرات البحث حيث يضعون المادة بين أيديهم يقلبونها من جميع وجوهها ، ويتفحصونها ويجرون عليها تجارب شتىٰ حتىٰ تستسلم لهم وتسلمهم قيادها ، وتكشف عن أسرارها ، وتحكي أوجه الخدمات التي تقدمها ، فإذا ما وقفوا علىٰ الأحوال واطلعوا علىٰ الاسرار عند ذلك تخفق قلوب هؤلاء العلماء المسلمين بالعظمة الالٰهية المدبرة القادرة وتنطلق ألسنتهم بالتسبيح والحمد « ربنا ما خلقت هذا

باطلا سبحانك » ثم طلب النجاة حيث عرفوا موقعهم من الحياة ، « فقنا عذاب النار » وإذا نقلنا مثل هذه الصورة الحية الموحية إلىٰ طلابنا في قاعات الدرس فكم سيكون لها وقعها وتأثيرها في نفوسهم ، وكم سيكون نجاحنا عظيما اذ جعلنا مادة الكيمياء مادة حية تتفجر بالايمان وتتدفق باليقين . هذا منهج التعليم في الاسلام وهذا ما يريد الله تعالىٰ من الانسان المسلم ، أن يكون ذا بصيرة ، وعلىٰ بصيرة ، لينفذ بها إلىٰ أسرار الحياة ، فتصله بالله ، وتوصله إلىٰ الله سبحانه ، ثم ليحمل هذه الأسرار إلىٰ طلاب العلم ليبلغهم ، ويلقنهم ويغذيهم بالحقيقة ، حقيقة الكون كله ما هو؟ وحقيقة الموجودات فيه ما هي ؟ ثم الحقيقة الكبرىٰ « الله خالق كل شيءٔ وهو علىٰ كل شيءٔ قدير » . « الله خالق كل شيءٔ وهو الواحد القهار » « الله خالق كل شيءٔ وإليه المصير » .

حقائق لابد للبشرية أن تعرفها وتهتدي بنورها ، ولا يقوم بهذا الدور دور المعرفة وإيصال المعرفة للناس إلا العلماء ، علماء الطبيعة المسلمون يقدمون خلاصة تجاربهم ، وخلاصة جهدهم . إنهم هم الصفوة المختارة التي تبحث عن الحقيقة وقد وضعت بين يديها آيات الكون العظيم ، وآيات الكتاب الكريم مستمدة منهما المعرفة ومستعينة بهما في البحث عن الحقيقة ، حتىٰ إذا ما وصلت إليها حملتها أمانة في عنقها لتبلغها وتعلنها علىٰ العالمين .

هذا المنهج هو الذي سار عليه المسلمون من قبل ، وظهر فيهم علماء ساروا جميعا في اتجاه واحد ، وفق منهج واحد . العلوم لديهم كلها سلم الوصول إلىٰ الله سبحانه ما عرفوا في دراساتهم هذا

ما سخر الله له مما أودعه في هذه الارض ليقوم بها أمر الخلافة ، ولا يتم هذا الاستخدام علىٰ الوجه السليم إلا بعد أن يتعرف الانسان علىٰ هذه الموجودات معرفة تامة ، ويختبر كنهها ، ويقف علىٰ خواصها ومنافعها ، عند ذلك يستطيع أن يسخرها لقضاء حاجته والقيام بحق الاستخلاف خير قيام وبدون هذه المعرفة لا يتسنىٰ له سبيل التسخير الصحيح ، لذلك فهو مدفوع بأمر الله وحسب منهج الله أن يدرس هذه الموجودات المحيطة به من كل جانب ، وتلك المخلوقات التي قدمها الخالق عطاء له .

هذا ما تقوم به العلوم الطبيعية ، تسد هذا الجانب العظيم من أمر الله ومنهجه في هذه الحياة ، وليس كما فهمه بسطاء المسلمين ، وإن كانوا في محل الصدراة ، أن الاعراض عن هذه العلوم والتنكر لها والابتعاد عنها غنيمة . لذلك تركوها بيد أعداء الاسلام يأولونها حسب ما يشتهون ويستخدمونها لحرب الله ورسوله ، يجعلونها بريد الكفر والمروق من الدين بسبب سوء استخدامها ، وسوء فهمها ، وتجريدها من كل سبب يصلها بالخالق . إن الانحراف بهذه العلوم ضلال كبير ، أوقع البشرية في شر مبين ، وها هو آخذ بها إلىٰ حتفها .

النظرة السليمة إلىٰ هذه الموجودات ، والنظرة المتعمقة القائمة علىٰ الابحاث المخبرية ، والدراسات التجريبية التجريدية ، هي التي تقودنا إلىٰ نظرة صحيحة للمادة موضوع الاختبار ، النظرة التي أمر الله بها لتكون نقطة الانطلاق .

﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها

مالكون ﴾ (يس ٧١)

﴿ **وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ (الذاريات ٢٠ ـ ٢١)

وبهذه النظرة وبهذه المعرفة يتم توطيد دعائم الخلافة للانسان المسلم في الارض .

ثالثا : إقامة بناء اسلامي للعلوم الطبيعية :

إن النظرة الخاصة للكون والحياة في الاسلام ، والطريقة التي يعالج بها منهج التعليم الاسلامي موجودات الحياة ، تمهد الطريق إلىٰ إقامة بناء اسلامي للعلوم الطبيعية تحمل خصائص هذا المنهج .

فالعلوم الطبيعية بما تتوصل إليه من نتائج ومعلومات عن الاشياء المحيطة بالانسان ، وترسم له الاطار الذي يعمل ضمن حدوده ، ويستخدم إمكانياته ، تضع الانسان أمام الصورة الحقيقة للحياة . حيث الحياة أمامه مشهد متكامل الصورة ، لا نقص فيها ولا تشويه تسيرها كلها إرادة واحدة ، ويحمها نظام واحد . وهي في عالم الشهادة تردد صدىٰ عالم الغيب ، وتحكي الحياة الآخرة ، تلبي مطالب الجسم ، كما تروي ظمأ الروح ، لا تلمس فيها معاكسات ولا مشاكسات إنما الانسجام الكامل والانتظام الشامل ﴿ **وكل في فلك يسبحون** ﴾ (يس ٤٠)

إن هذه النظرة الشاملة المتكاملة تبني الكيان الحقيقي للعلوم الطبيعية الاسلامية وتقيم هذا البناء علىٰ أسس سليمة ، ونظرات صحيحة . وتجعل للمجتمع الاسلامي كيانا خاصا في علومه ومعارفه عن الكون والحياة يستقل بها عن علوم ومعارف الأمم

الاخرىٰ تلك العلوم المشوهة المبتورة الصلة بمنابعها الحقيقية والبعيدة كل البعد عن استخداماتها الاصلية .

وإن إقامة هذا البنيان ، يجعل أنظار العالم تلتفت إليه عندما يعلو ويرتفع ، ويبرز إلىٰ العالم في نظرياته وتصوراته السليمة كي يشاهد الحق ، ويقف علىٰ الحقيقة ، والنظرة الصائبة فيحفزهم ذوي البصيرة منهم أن يفكروا في الأمر ويسترشدوا بتلك المنارة التي يقيمها منهج الاسلام في حقل العلوم الطبيعية ، لعل التائهين يثوبوا إلىٰ رشدهم ويرجعوا عن ضلالاتهم .

رابعا : السعي إلىٰ تصحيح الفكرة عن هذه العلوم ودورها وعن الحياة وحقيقتها لدىٰ أمم العالم :

إذا كانت شعوب العالم قد ضلت الطريق عندما أخذت منهج التعليم عن دول أوربا ، فلابد للمسلمين من القيام بدورهم في حمل الأمانة ، وتحقيق قول الله سبحانه : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ وإن إتمام تبليغ الرسالة إلىٰ يوم القيامة عهد الله به إلىٰ الأمة المسلمة ، ويعني ذلك أن هذه الأمة علىٰ تحقيق هذا الأمر ، وأن تنتبه إلىٰ مسار دول العالم في شتىٰ المجالات . فاذا ما أبصرت خطأ أو انحرافا عليها أن تنبه المخطئ وتذكر المنحرف ، وتعمل جاهدة علىٰ إصلاح هذا المسار .

ولما كان المسار التعليمي أهم وأخطر هذه المسارات . وكان مسار الغرب في فهم العلوم الطبيعية ينم عن خطأ فاحش وخطر كبير ، وسيحيق هذا الخطر بالعالم أجمع . لأن الأمم التي هي في قيادة الركب لا تفهم عن معنىٰ لهذه العلوم إلا خدمة غرضين اثنين :

الاول : هو الانتاج المادي ، الانتاج بكافة مستوياته ، الانتاج الضخم والانتاج الغزير ، والانتاج المستمر . هو هدف رئيسي لدىٰ الأمم الشرقية والغربية ، وتراه هدفا يستحق من أجل الوصول إليه كل تضحية ، حتىٰ التضحية بالأخلاق والدين ، أو القيم والاعراف الانسانية . إن غرض الانتاج طغىٰ علىٰ كل شيءٌ فيجب أن يجند له كل إمكانيات الدولة ، حتىٰ الامكانيات البشرية يجب أن تسخر لخدمة هذا الغرض ولو كان يتعارض مع دينها ، أو خلقها ، أو مشاعرها وأعرافها التي ورثتها عن السلف أو ..الخ فمن يسعىٰ وراء الربح المادي فقط يستهين بكل شيءٌ ، ويستخدم كل وسيلة ، ويسلك كل سبيل من أجل الوصول إلىٰ كثرة الانتاج واغراق أسواق العالم بالمنتجات .

الثاني : وأما الغرض الثاني الذي تسعىٰ تلك الدول إلىٰ بذل مزيد من الجهد لتحصيله فهو الاعداد العسكري والتفوق في صناعة الاسلحة والتوسع في المكتشفات العلمية التي تخدم هذا الغرض .

هذان الغرضان هما اللذان يلاحظ تسابق الدول الكبرىٰ عليهما ، والتنافس في تحقيق نصر فيهما ، وتفوق في مجاليهما ، ولهما فقط تستخدم كل المكتشفات وثمرات العلم .

أما الاغراض الانسانية كما يسمونها ، في مجال الطب ورفع مستوىٰ الحياة البشرية في البلاد الفقيرة ، والسير بالعالم إلىٰ السلم والرخاء ، فهو مطلب يتحدث القادة عنه ويتندرون بنغماته فكأنه فكاهة لهم ، إننا نسمع التصريحات العديدة والاعلانات الانسانية السعيدة ، ولكن نجد من جانب آخر أن الدول التي أعلنت

وصرحت هي نفسها التي تدوس الحقوق ، وتنقض العهود ، وتضرب بها عرض الحائط .

هنا يأتي دور المنهج الاسلامي ليعطي ترجمة صحيحة عن هذه العلوم والدور الحقيقي الذي يجب أن تؤديه لتتجه الوجهة الصحيحة ، وتنحو المنحىٰ السليم حسبما تنطق به حقائقها وتكشف عنه مخابرها .

فالعلوم الطبيعية تقول : إن موجودات الحياة مصنوعة علىٰ أحسن ما يكون الصنع والاتقان وإن لها وظيفة في هذه الحياة تؤديها ودور تقوم به وإنها مسخرة لهذا الانسان لينتفع بها ضمن المجال وفي الحدود التي هيئت لها وأوجدت من أجلها . فاذا ما انحرف بها الانسان وأساء استخدامها ، فلابد أن تناله العقوبة من هذه الموجودات نفسها ، فتكون له أداة فتك وتدمير ، ووسيلة تعاسة وشقاء ، ثم العقوبة الأشد من رب هذه الموجودات بأن يحاسب هذا الانسان علىٰ سوء الاستخدام ، وغالبا ما يعاقب الانسان نفسه بنفسه فيهلك نفسه بالأدوات التي صنعتها يداه .

ويأتي هنا دور المنهج الاسلامي ، لينبه هؤلاء الغافلين إلىٰ يد القدرة المحركة لهذا الكون ، والمدبرة له ، فيقوم ببسط الدلائل أو تبيان البراهين علىٰ حقائق العلم ويعرف الناس كيف يستعملون الموجودات وفق مشيئة صانعها ، وكما أراد أن تستعمل ، ويبين لهم أنها مسخرة للانسان لينتفع بها ، ويحسن الانتفاع فيشكر المسخر لها ويقنت له .

الفصل الثاني

طريقة التدريس

المبحث الأول : طريقة الفصل في التدريس ومساوئها

المبحث الثاني : طريقة التدريس الاسلامية ودورها في تلافي مساوئ الفصل

المبحث الثالث : نموذج تدريس مادة العلوم الطبيعية

المبحث الرابع : من يحمل مسؤولية تنفيذ هذا المنهج

تمهيـــد

بعد أن بينا الهدف من تدريس العلوم الطبيعية في ظل منهج التعليم الاسلامي ، صار بامكاننا بيان طريقة التدريس التي تخدم هذا الهدف ، وتؤدي إلىٰ تحقيقه .

وتعتمد هذه الطريقة علىٰ النظرة الاسلامية الشاملة للكون ثم علىٰ الربط ما بين المخلوقات وخالقها ، ففي ظل هذا المنهج ، لابد للطالب من أن يدرس المادة كاملة شاملة ، ويتعرف علىٰ الشيءُ من كافة الوجوه . فإذا ما تعرف علىٰ مادة من المواد ، كان لابد من أن يتعرف علىٰ مضمون هذه المادة من أين أتت ؟ وكيف وجدت ؟ ومن أوجدها ؟ كيف صنعت علىٰ هذه الكيفية ؟ ومن الذي صنعها ؟

إن المنهج الاسلامي لا يقف في منتصف الطريق ، كما هو حال المناهج غير الاسلامية . بل هو بنظرته الشمولية يسير إلىٰ نهاية المطاف لأنه يرىٰ أن ليس من المنطق ولا من المعقول أن يتعرف الانسان علىٰ الحديد ، ولا يتعرف علىٰ رب الحديد ، ويتعرف علىٰ الماء ولا يتعرف على رب الماء . إن هذا المسلك بتر للمعارف وتشويه لها . فلابد لاكتمال المعرفة من أن يتعرف الطالب علىٰ الشيءُ المطروح بين يديه المعرفة الكاملة ، وهي التي تشمل أول ما تشمل مصدر الشيءُ الذي صدر عنه ، ومن أتىٰ به ، ثم يتعرف علىٰ الشيءُ نفسه ، خواصه وتبدلاته والانتفاع منه ، أو معرفة الشيءُ أولا ثم التعرف علىٰ مصدر وجوده .

ولتحقيق هذا المنهج في التعليم لابد من اتباع خطوات معينة في تدريس أي مادة من المواد لنحصل علىٰ النتائج المطلوبة ، وهي بطبيعة الحال تخالف النتائج التي يحصل عليها غير المسلمين بسبب اختلاف المنهج .

ولابد أن نلم بعض الشيء بطبيعة العلوم الطبيعية ليساعدنا هذا علىٰ إيضاح طريقة تدريسها فنذكر من ذلك اهتماماتها ونذكر حيادها :

اولا : اهتمامات العلوم الطبيعية :

وحدنا من التعريف أنها تهتم بالبيئة التي يعيش فيها الانسان ، أي فيما يوجد في تلك البيئة من أشياء يستخدمها الانسان ومن قوانين يخضع الانتفاع بتلك الاشياء إليها ، إذن إن ما تهتم به العلوم الطبيعية ، هي تلك العوالم التي تعيش مع الانسان وتشاركه الحياة ، كعالم الحيوان ، وعالم النبات ، وعالم الجماد ، لما لها من أثر كبير علىٰ حياة الانسان فمنها طعامه ، ومنها شرابه ، ومنها لباسه وأدواته . يضاف إلىٰ ذلك اهتمامها بالانسان نفسه .

إن هذه العلوم هي التي تتولىٰ تعريف الانسان بها وصفا وتحليلا وتركيبا ، ثم بيان طرق استخدامها والانتفاع بها . وكذلك فانها تلم بالقوانين التي تحكم هذه العوالم ، وطرق استخدامها والانتفاع بها . وهي بهذا تزيد معارف الانسان وتثري فكره ثراء جما ، يجعله يحسن استخدام ما كان يستخدم من موجودات البيئة قبل هذه المعرفة ، وينتفع بها علىٰ نحو أفضل . كما تجعله يقف علىٰ أشياء جديدة ، وقوانين جديدة ، تكون عونا لحياته وتحسين معاشه .

إنها تخدم الانسان بما تقدم له من تعريف بالبيئة التي تحيط به ، وتعريف بأحسن الطرق لاستخدامها والانتفاع بها .

وتخدم الانسان أيضا فيما تكشف له عن كنوز وخيرات مدفونة في باطن الارض لم يكن يعرفها من قبل ، ترشده إليها ، وتساعده علىٰ اختيار أوجه استخدامها والافادة منها ثم تخدم الانسان أيضا بما تكشف له عن قوانين ونواميس في الكون لم يقف عليها بعد في حياته المديدة فتعطيه المزيد من تسخير نظام الكون لخدمة مصالحه وتحقيق أغراضه .

ثانيا : حياد العلوم الطبيعية :

هذه العلوم الطبيعية وقد رأينا موضوعاتها التي تعالجها وأنها تتناول كل ما يشاهده الانسان وما يلاحظه من ظواهر في الجو والبر والبحر ، وتغوص في باطن الارض إلىٰ الأعماق ، وتصعد في الفضاء حتىٰ تصل عنان السماء ، لتحيط بما تستطيع أن تحيط به من أفلاكها ، وأسرارها . إن هذه العلوم مسيسة الصلة بحياة الانسان ، وذات تأثير كبير في دنياه وأخراه لذا لا يمكن أن تكون أبدا حيادية مجردة . التجريد والحياد يمكن أن يكون في مرحلة التعرف علىٰ المادة ، وفي مرحلة تحليلها وتركيبها ، عندما نسوقها إلىٰ المختبر لتخضع للتجربة وتستسلم لمتطلبات البحث العلمي ، في هذا النطاق ينحصر التجريد ويكون الحياد ، لابعاد المادة عن كل المؤثرات الخارجية والتصورات المختلفة المتناقضة ، أما بعد التعرف عليها ، ومعرفة كنهها ، واختبار حقيقتها ، وما يستفاد منها تخرج من المختبر لتسأل بلسان الحال من أوجدها ، ومن جعلها علىٰ هذه

هذه الموجودات بالتفصيل ثم تدله علىٰ طريق الاستفادة منها والانتفاع بها . فهي لذلك علوم لها بالدين صلة وثقىٰ وقربىٰ ، بل هي جزء من علوم الدين أو فرع من فروعها . إنها ذلك الجزء الذي يحث عليه القرآن الكريم ، وهو جانب النظر والفكر والتدبر والتثبت من موجودات الكون ودلالاتها . والعلوم الطبيعية إذ تقوم بهذه الوظيفة تنفذ أمرا من أوامر الله سبحانه : « فلينظر الانسان مم خلق » « فلينظر الانسان إلىٰ طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا .. » وعليه فهي تسير بالانسان عن طريق النظر والتفكر من المصنوع إلىٰ الصانع ، ومن المخلوق الىٰ الخالق . إنها تسير بالانسان في الطريق الطبيعي الذي يجب أن يسير فيه كل انسان .

وبما أن طريقة الفصل في التعليم بين العلوم الطبيعية والدين أساءت إلىٰ الحقيقة وشوهت الواقع ، فلم تعط الصورة الصحيحة التي يجب أن تعطيها للانسان فضللت ذلك الانسان ، ووضعته في متاهة الفصل ضالا في شعابه ، مترددا بين ممراته . لذا لابد من ايضاح الطريقتين للوقوف علىٰ ما بينهما من فروق واختلاف ، فنعرض لطريقة الفصل المتبعة حاليا ومساوئها ثم نأتي علىٰ ذكر طريقة التدريس الاسلامية :

المبحث الاول
طريقة الفصل في التدريس ومساوئها

قبل عرض طريقة التدريس الاسلامية التي ندعوا إلىٰ الأخذ بها ، لابد أن نعرج علىٰ طريقة التدريس القائمة علىٰ الفصل بين

العلوم الطبيعية والدين لنرىٰ المساوئ التي جرتها علىٰ العالم ، ولنعلم أن طريقة التدريس القائمة علىٰ أساس سليم ، تؤتي ثمرات طيبة ، وتخرج أجيالا سليمة من العاهات الخلقية والتشوهات النفسية .

إن طريقة الفصل هي الطريقة القائمة حاليا والمتبعة في بلاد العالم أخذا واقتباسا من الدول الغربية الاوربية ، ومنها البلدان الاسلامية . وثمارها ونتاجها شاهد علىٰ فسادها وعلىٰ عدم صلاحها . ويكفينا من شرها أنها خرجت أجيال الحرب العالمية الأولىٰ ، وأجيال الحرب العالمية الثانية . وهي علىٰ وشك بأجيالها الحالية إشعال الحرب العالمية الثالثة .

والانسان المسلم الذي أضاء الايمان بصيرته ، وكل إنسان في هذا العالم ملك ضميرا حرا وفكرا مستنيرا ، وقلبا خاشعا خاضعا لله رب العالمين ، يدرك أن طريقة التدريس الحالية والقائمة علىٰ الفصل بين العلوم الطبيعية والعلوم الدينية قد جرت مساوئ خطيرة علىٰ المجتمع من ذلك فساد النظرة إلىٰ الحياة ، وفساد العلاقة بالكون ، وفساد التعامل مع الناس ، ثم فساد تعامل الانسان مع نفسه .

١ ـ فساد النظرة إلىٰ الحياة :

إن فساد النظرة إلىٰ الحياة أمر مشاهد ومعروف في مراقبتنا لخط سير الدول المتقدمة في العلوم الطبيعية مع الفصل عن الدين ، كيف تنظر إلىٰ الحياة ؟ وكيف أصبح معنىٰ الحياة في مجتمعاتها . لقد طغت النظرة المادية عليها ، وسيطرت فكرة الاستغلال المادي ، وانحصرت أهداف الدولة بناء علىٰ هذه النظرة في إطار ضيق من الانتاج المادي والانتاج الحربي ، وحتىٰ الانتاج الحربي صار من

أهدافه الربح والاستغلال عن طريق إحكام السيطرة علىٰ بعض الأسواق بواسطة القوة والتهديد بها ، أو المتاجرة بالسلاح . وإن هذه الفكرة بسيطرتها علىٰ بعض المجتمعات ، ولدت فكرة سباق التسلح ، وفكرة المنافسات الاقتصادية غير الشريفة بدافع السيطرة علىٰ الاسواق ، والتحكم فيها بأساليب المكر والقهر . وولدت كذلك فكرة السيطرة علىٰ منابع المواد الأولية ، وفكرة الاستعمار للوصول إلىٰ تلك المنابع ، واستغلالها لصالحها ، ولو أدىٰ هذا إلىٰ دمار وهلاك شعوب آمنة مستضعفة ، أو إلىٰ نزيف دمها ، المهم في الأمر هو انتزاع الدول الكبرىٰ الغنية القوية قوت الشعوب الفقيرة المستضعفة لا تبالي فيما تأخذ أهو حلال أم حرام طالما زالت رقابة الدين وامحت آثاره .

يقول الله تعالىٰ بعد عرض العبر والآيات منبها الانسان : ﴿ **إن في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد** ﴾ (ق ٣٧)

وأقول بعد عرض هذا المشهد وهو فصل من فصول « رواية الاستعمار » وكيف كانت الدولة المتخمة بالمادة لا تشبع ولا ترتوي ، وإنما تبغي المزيد ، ولكن من أين ؟ هل ترتاد يا ترىٰ مظانه وتسلك السبيل السوي إليه ، أم أنها تذهب إلىٰ شعب فقير مستضعف عنده قوت يومه لتنتزع هذه اللقمة من فمه ، بلا رحمة وبلا شفقة ، وبلا راد من ضمير أو انسانية ، إن هذه الدول قد هبطت بلا شك إلىٰ أدنىٰ مستوىٰ من الحيوان لأنا سمعنا روايات عن الحيوان عن رحمته وعطفه علىٰ بني جنسه ، حتىٰ بالانسان نفسه ، ولكن

الانسان خريج الحضارة المادية كأنه كالحجارة أو أشد قسوة ، ما عرف الرحمة لبني جنسه ولا درىٰ بها ، وهذا نتاج منهج التعليم في بلد قد فصل الدين والاخلاق وأقصاهما عن الحياة ، وأسقطهما من الحساب . ومن أراد المزيد عن أخبار هذه الاجيال التي تربت في ظل منهج التعليم الحالي الانفصالي فليقرأ رواية الحرب العالمية الثانية بفصولها كاملة ، وليسمع ما كان يفعله بعض القادة الالمان بالقرىٰ والمدن الفرنسية ، وكذلك الفرنسيون والطليان ، وكذلك الانكليز وكذلك ..الخ مع أن الحرب بين الشعوب النصرانية ، وعندهم في معاملة الأسرىٰ والجرحىٰ قوانين ضربوا بها عرض الحائط فانفلتوا من كل قيد .

فانظر واسمع ما فعلوا بأنفسهم عندما أقصي الدين ، ونبذت الاخلاق عن مناهج التعليم وما فعلت هذه النظرة المادية بالحياة كلها وبالبشرية كافة .

إنني أقول بعد هذا « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد » لندرك فساد النظرة إلى الحياة ماذا فعل بالحياة .

٢ ـ فساد العلاقة بالكون :

إنه فساد من نوع آخر يرتكبه منهج الفصل في التعليم . لقد قطع هذا المنهج أوصال الحياة علىٰ الرغم من أنها وحدة واحدة ، وبناء واحد يكمل بعضه بعضا ، هذه النظرة الضيقة أفسدت علاقة الانسان بالكون فجعلته ينظر إليه من زاوية ضيقة جدا هي زاوية الانتاج المادي ولا يتعرف عليه إلا من هذه الزاوية وقليل جدا

أولئك الذين ينظرون إلىٰ الكون تلك النظرة الواسعة المحيطة ليدرك ما وراء ذلك من تدبير وتقدير ، ويدرك اليد التي تحرك الحياة وتحكمها .

الكون واسع فسيح ، والحياة شاملة متواصلة ، تربط الماضي بالحاضر ، والحاضر بالمستقبل ، وتشي كذلك بالتدبير والحكمة ، وأن هناك سنن وقوانين ثابتة تحكم سيرها ، فلا يأتي إليها شيءٌ إلا بقدر ، ولا يخرج منها شيءٌ إلا بقدر . وتوحي أن وراء عالم الشهادة عالم آخر هو عالم الغيب ، تبرز ملامحه في عالم الشهادة ، ولكن طريقة الفصل تعمي الانسان عن هذا كله فتجعله وكأنه أصم وأعمىٰ وأبكم ، لا يحس مما حوله شيئا ، ومن هذه الطريقة الفاسدة نجم فساد العلاقة بالكون ، ونجم عن هذا الفساد هذه النظرة المشوهة ، وذاك الادراك الناقص . إن هذه المجتمعات التي تربت علىٰ منهج الفصل لا تعرف إلا الحياة الدنيا ، ولا تنظر إلا إلىٰ عالم الشهادة فقط ، ومنه أيضا لا تعي ولا تدرك إلا الزاوية المادية والمنطق المادي . لا تعرف عالم الغيب ، ولا تتعامل معه ، ولا تحس به ، ولا تدرك من عالم الشهادة إلا تلك الزاوية . فالانسان علىٰ قدر علمه ومعرفته بهذا الكون تتحدد صلته به ، ويتعين موقفه منه . فالانسان نتاج المذهب المادي يخاطب الكون بلسان المادة ، وينظر إليه بعين المادة ، ولا ينصت إلا إلىٰ رنين المادة فيه . إن هذه النظرة الفاسدة تولد فساد العلاقة مع الكون واضطراب التعامل معه ، وإذا فسدت علاقة الانسان مع الكون الذي يعيش فيه فماذا يكون يا ترىٰ ؟

٣ ـ فساد التعامل مع الناس :

لابد أن يجر الفساد إلىٰ فساد آخر ، ففساد العلاقة بالكون قد أدىٰ إلىٰ فساد التعامل مع الناس . فحيث لم تتضح الرؤية الصحيحة للكون جميعا فأدى إلىٰ فساد العلاقة مع الكون ، فإن فسادا آخر تولد منه هو فساد تعامل الناس مع بعضهم البعض سواء علىٰ مستوى الدول وهذه العلاقات بين الدول ظاهرة للعيان لا تحتاج إلىٰ دليل ولا برهان . إنها علىٰ أسوأ حال يمكن تصوره ، الواحدة تترصد الأخرى للايقاع بها ، وتتربص بها الدوائر ، والحرب العالمية الاولىٰ والثانية ، ثم الحرب الجانبية أو بالواسطة ، ثم الحرب الباردة .. إلىٰ غير ذلك من المسميات كل ذلك شاهد علىٰ طبيعة العلاقة بينها . إنه الحذر دائما ، والمكر دائما ، والسوء دائما ، لا يراعون عهدا ولا ميثاقا إلا بقدرما تسمح به مصالحهم الخاصة وما عدا ذلك فلا عهد ولا ميثاق .

هذا علىٰ مستوىٰ الدول ، أما علىٰ مستوىٰ الدولة الواحدة والمجتمع الواحد ، والأمة الواحدة ، فالحال كذلك لا تختلف ، والفساد هنا كالفساد هناك ، لقد نزل بالمجتمعات السوء وحل فيها المركوه نتيجة هذا الفساد ، ولم تعد العلاقة بين الناس في المجتمع الواحد تقوم علىٰ مستوىٰ الانسانية ، بل تحكمها الشهوات الحيوانية ، وتسيطر عليها النزوات الشيطانية فمن مغامر يسعىٰ الوصول بأحط وسيلة فالمهم الوصول ثم التحكم والاستبداد بالناس إلىٰ تاجر مقامر مرابي يبغي أخذ أموال الناس بالباطل ، المهم أن يكدس لديه المال ليصبح المليونير فلان وكفىٰ . إلىٰ لص محترف

بأشكاله المختلفة ، من لص صغير في المرتبة إلى لص كبير في الرتبة والدرجة ، همه السطو ، ونهب أموال الأمة ، إلى فاسق حاذق يتقن اسلوبه ويفتن بأشكاله .

من هذا الخليط الفاسد الذي تربى وتعلم وحذق في المعاهد الانفصالية انبثق هذا الجيل يمزق وحدة الأمة ، ويشتت شملها ، ويفرق جمعها ، إنه جيل المنهج الانفصالي الذي فقد أصالته ، وضيع نسبه وشرفه ، وصار كالكلب المسعور يطارد الآمنين وينهش المسالمين .

أجيال جردها المنهج التعليمي من الدين ، وسلب منها الاخلاق ، وجعل المادة إله يعبد من دون الله ، كيف ستكون طبيعة العلاقة بين أفراد هذا الجيل ؟ وكيف ستكون مع الآخرين ، ما دام المنهج يخرج لصوصا بشهادات رسمية ، هذا اللص اسمه الطبيب فلان وهذا اللص اسمه المهندس فلان ، وهذا اللص اسمه المحامي فلان ، وكفى بنتاج هذا الجيل شهادة عليه وإقرارا بطبيعة العلاقة بين الناس .

٤ ـ فساد تعامل الانسان مع نفسه :

ونأتي أخيرا وفي نهاية المطاف لنجد أن هذا الفساد كله قد جر إلى فساد أدهى وأمر ، وهو فساد علاقة الانسان مع نفسه . وهذه هي النتيجة الحتمية لما سبق . فما دامت النظرة إلى الحياة مشوهة ، والعلاقة بين المجتمعات كما نرى ونشاهد ، وكذلك الأمر بين الناس في المجتمع الواحد ، هي كما نشاهد ما هي عليه من سوء وتحقق المبدأ القائل : « الانسان ذئب على الانسان » . ناسخا المبدأ

القائل : « الانسان أخ الانسان » فإن هذا لا يخلق إنسانا سويا ، بل إنه سيأتي بانسان مشوه وسيلد إنسانا أكتع يمشي برجل واحدة ، وينظر بعين واحدة ، ولكن يأخذ وينهب ويسرق بكلتا يديه .

وطالما أن هذا الانسان لا يعرف الحياة علىٰ حقيقتها ، ولا يعرف العلاقة علىٰ أصولها فهو كذلك لا يعرف نفسه معرفة تامة ، ولا يدري ما حقيقته ، ولا ما هي وظيفته في الحياة ، لذلك لا ينظر إلىٰ نفسه النظرة الصحيحة ، إنما ينظر إليها من خلال ما يعطيه هذا المجتمع من فساد التصور ، فيرىٰ أنه خلق ليأكل ، وخلق ليتمتع بالشهوات كما تتمتع الانعام ، لا يعرف لنفسه غاية ، ولا يدرك لها فضيلة ، ويغدو ذلك الحيوان المفترس الذي ألم به الطوىٰ وأنهكه الظمأ وكالحية تعض نفسها إذا لم تجد من تنهشه .

إن فساد تعامل الانسان مع نفسه ، بسبب فساد التصور ، وفساد العلاقة مع الحياة كلها ، سيؤدي بهذا الانسان إلىٰ الهلاك ، إذ يقضي علىٰ نفسه بنفسه ، عندما لا يرعىٰ في طعامه ولا شرابه دينا ولا خلقا ، وعندما لا يبالي بروحه ما حل بها . والنتائج بأشكالها ظاهرة لا تحتاج إلىٰ بحث أو تنقيب .

وهكذا نجني من طريقة الفصل ، فساد العلاقات والارتباطات كلها ، مع الكون ورب الكون . ومع الناس جميعا ، حتىٰ الانسان مع نفسه ، ويقع المجتمع في حيرة وارتباك محاولا الخلاص ، ونشاهد ما نشاهد من انحرافات ، ونسمع ما نسمع من أخبار عن هذه الاجيال . ويحق قول الله سبحانه فيهم : ﴿ **قل هل ننبئكم**

بالأخسرين أعمالا الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ (الكهف ١٠٣ ـ ١٠٤)

المبحث الثاني
طريقة التدريس الاسلامية ودورها في تلافي مساوئ الفصل

اول ما تمتاز به طريقة التدريس الاسلامية هو أنها تتلافىٰ تلك المفاسد وتعالج العيوب التي تظهر في طريقة الفصل. فعلىٰ العكس تماما من طريقة الفصل نجدها تقوي العلاقة بين الانسان والمجتمع والكون، وتحمي الفرد والمجتمع من الفساد الذي تؤدي إليه طريقة الفصل، لأن المنهج الاسلامي يلزمنا اتباع خطوات معينة، والسير بطلاب العلم علىٰ مراحل، راعىٰ فيها أن يكون درس الايمان والعقيدة؛ مرافقا للطالب بجميع مراحل التعليم منذ بدايته في مراحل التعليم الاولىٰ، وحتىٰ نهايته في المراحل الأخيرة؛ ويرافق الطالب أيضا في جميع التخصصات، فالايمان ليس له كلية خاصة أو معهد مستقل، إنما هو يكون في كل معهد وفي كل كلية، وفي كل مرحلة، هو في كلية الطب كما هو في كلية الهندسة والزراعة والتجارة.. وهو في الابتدائي كما هو في الاعدادي والثانوي وفي الجامعة والتخصصات العليا علىٰ سواء، فالايمان روح العلم فكيف ننزع الروح عن الجسم؟ كيف نستطيع أن نسير بعلم أيا كان نوعه وشكله بلا إيمان يهيمن عليه، ويصلح من اعوجاجه ويحد من غلوائه أو شططه. العلم بلا إيمان رأيناه في منهج التعليم الحالي المستورد غير الاسلامي، وهذه صور من نتاجه وقفنا عليها، ورأينا

منهج التعليم الاسلامي يلزمنا أن نسلك في تدريس أي مادة من المواد الخطوات التي تجعل الطالب في الدرس وكأنه في معرض من معارض الايمان يتلقىٰ البيان عن المادة وقد غمرتها وتخللت ثناياها سبحات الروح وأشعة الايمان .

وهذه الخطوات يجدر بالمدرس المسلم أن يراعيها في تدريس أي مادة من المواد سواء في العلوم العملية أو العلوم النظرية ، وهي تشكل مراحل الدرس وتكون علىٰ النحو التالي :

١ ــ التمهيد بكلمة موجزة عن الحياة بشكل عام .

٢ ــ التعريف بالمادة موضوع الدرس بأنها جزء من موجودات الحياة تقوم بدور معين في هذه الحياة ، أو أنها تغني الحياة في جانبها منها . أي يحدد مكان هذه المادة ودورها الطبيعي في الحياة .

٣ ــ يعرض النتائج المخبرية الصحيحة علىٰ الطلاب فيقوم بوصفها ، وبيان نتائج تحليلها وتركيبها ثم بيان عناصرها ، وفي كل خطوة يشير ويؤكد علىٰ ما يظهر فيها من دقة الصنع في التركيب وفي التفاعل والتحليل .

٤ ــ إبراز ما فيها من إعجاز علىٰ ضوء النتائج المخبرية ، إعجاز في الصنع وفي التحليل والتركيب ومشيرا إلىٰ ما تحمل من مواصفات ، وما تحمل من دلائل القدرة ، وما توحي به أحوالها وتركيباتها ، وعناصرها ، وتفاعلاتها من وجود الخالق المدبر الذي تفوق قدرته كل قدرة ، ويفوق تدبيره كل تدبير ، ويفوق علمه كل علم ، ففي تركيبها ، وطريقة صنعها ما يرشد الدارس إلىٰ أن هذا التركيب لم يصدر إلا عن عليم خبير ، وأن هذا الصنع من وضع قادر مقتدر .

٥ ـ بيان استخداماتها ، وما يعطي كل طور من أطوارها من أوجه انتفاع وما يقدم من خدمات للانسان لأن الغاية من دراسة أي مادة والتعرف عليها هو الوصول في النهاية إلىٰ طرق الاستفادة منها ومعرفة مختلف أوجه الانتفاع بها ، ثم التعرف علىٰ المنعم بها الصانع لها وتقديم جزيل الشكر إليه .

٦ ـ عقد الصلة بين هذه المادة موضوع الدرس وأمثالها في الحياة علىٰ أنها عنصر يؤدي دوره كما أشار إلىٰ ذلك في التمهيد مجملا ، يعود هنا فيفصل هذا الدور ببيان وظيفتها التي تؤديها ، وأنها وهي جزء من الحياة الكاملة الشاملة للوجود ، تسير وفق السنن الالٰهية التي وضعها الخالق سبحانه : ﴿ **إنا كل شيءٍ خلقناه بقدر** ﴾ (القمر ٤٩) إنها تخضع لنظام تحليلي معين ، ونظام تركيبي معين ، ونظام في التصنيع معين . فالحديد يصهر بالنار ، والخشب يقطع بالمنشار ..الخ .

٧ ـ القصد والارادة وراء هذه المادة : وهذا الشوط الاخير من مراحل الدرس يأتي عليه المدرس ليوضح أن هذه المادة وجدت عن قصد وإرادة لتساهم في قيام الحضارة الاسلامية الانسانية الكاملة ، ليحقق بها المسلم رسالة الاسلام وهي اعمار الحياة المكلف به ، ومن ثم تتحقق فيه صفة الخلافة التي أسندها الله سبحانه إليه :

﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة ..** ﴾
(البقرة ٣٠)

هذه خطوات الدرس التي نراها تتمشىٰ مع المنهج الاسلامي حيث تجمع التربية مع التعليم فتحقق الغرضين في آن واحد . وانظر

الىٰ مدىٰ التأثير عندما يبرز المدرس أوجه الاعجاز وهو الغرض الاول من دراسة المادة . اتخاذها طريقا إلىٰ الايمان بالله وتثبيتا لهذا الايمان . فالطالب الدارس لهذه المواد يعيش في الحقيقة عامه الدراسي وكأنه في معرض من المعارض الكونية . إنه حقيقة في معرض الايمان يتنقل في أرجاء هذا المعرض بين تلك المعروضات علىٰ مختلف ألوانها وأشكالها وأحجامها واستعمالاتها والمرشد المشرف علىٰ المعرضَ ـ وهو هنا المدرس المسلم ـ يعرف زوار المعرض ـ وهم الطلاب ـ بتلك المعروضات . ففي كل حصة مقررة يزورون فيها معروضا من تلك المعروضات ، ويشرح المدرس عن أحوال هذا المعروض ، ويزودهم بشيءٍ من المعلومات عن أوصافه وأوضاعه التي يتميز بها عن المعروضات الأخرىٰ ، ثم يعدد لهم أوجه الانتفاع منه ، والمجالات التي يمكن أن يستخدم فيها . وفي كل زيارة يقوم بها الطلاب والمدرس لهذا المعرض يخرج الزوار وقد تركت الزيارة في نفوسهم انطباعا قويا ، وفي مشاعرهم تأثيرا عميقا ، فيتساءلون من أقام هذا المعرض ومن ساهم في صنع معروضاته ، وهي علىٰ اختلافها تقول إن صانعها واحد « صنع الله الذي أتقن كل شيءٍ » ، وكأن لسان حالها يردد تلك الآية علىٰ مسامع المشاهدين ليتذكروا ويتدبروا ولابد للذين يذكرون ويتفكرون في المعروضات إلا أن يقفوا علىٰ الحقيقة يرويها لسان الحال . وهنا نقف علىٰ ثمرات ونتائج الخطوات التي يلزمنا المنهج الاسلامي اتباعها في تدريس العلوم الطبيعية . فهي أولا تصلح عيوب الطريقة الحالية ـ طريقة الفصل ـ وتتلافىٰ كل ما تؤدي إليه من فساد . وهي ثانيا تعطي الدارس

لا شك أنها تؤثر علىٰ طبيعة الانسان وتؤثر علىٰ سلوك الانسان ، وتؤثر علىٰ علاقات الانسان مع نفسه ، ومع غيره ومع المجتمع ، ومع الكون . وإذا كنا قد وقفنا علىٰ نتائج طريقة الفصل وما تؤدي إليه من فساد ، فساد النظرة ، وفساد العلاقة ، وفساد التعامل ، وفساد التصور . فلابد أن نقف علىٰ نتائج الطريقة الاسلامية التي تقوم علىٰ وحدة المنهج القائم علىٰ وحدة النظرة ، لنرىٰ كيف أنها تتلافىٰ تماما ما لاحظناه في طريقة الفصل . ونعلم أنها الطريقة الوحيدة لاصلاح هذا الفساد بأنواعه وأشكاله .

النتيجة :

إذا تحققت الأماني وأرجو الله تعالىٰ أن تتحقق ما دامت هي الطريق ، ولكن المهم أن ننظر كيف تكون نتائج اتباع المنهج الاسلامي في تعليم العلوم الطبيعية ؟ وما هي الجوانب التي يتوقع أن تنصلح بهذه الطريقة ؟

لا شك أن إصلاح النظرة إلىٰ الحياة ، والنظرة إلىٰ الفرد والمجتمع ستؤدي حتما إلىٰ صلاح الاحوال جميعا ، أحوال الفرد ، وأحوال الأسرة ، وأحوال المجتمع .

لقد رأينا أن هذا المنهج يعطي نظرة صحيحة عن الحياة وما فيها ، ويعطي رؤية صادقة لكل شيءٔ في هذه الحياة ، ماهيته ، ومكانته ، ومكانه ، وعلاقته بغيره ، ثم ما هي الخدمات التي يقدمها للانسان ؟

إن هذا الوضوح في الرؤية للحياة وما فيها ، وهذا الادراك الكامل لموجودات الحياة ، وعلائقها بعضها مع بعض ، ثم علاقتها

بالانسان صاحب السلطان علىٰ هذه الارض ، وضع هذا الانسان علىٰ بينة من أمره في تدبير شؤونه ، وإدارة الحياة وقيادتها قيادة سليمة ، وإدارة حكيمة ، فلا يتصادم مع الطبيعة يوما ، ولا يصطدم بأحد من بني جنسه في نزاع فارغ .

فاذا وصل الانسان إلىٰ هذه المرحلة من النضوج والتعقل ألا يكون بذلك قد وفر علىٰ نفسه وعلىٰ بني جنسه الشيء الكثير من العناء والتعب ، ويكون قد حقن الدماء التي كانت تسيل من أجل الفتيل والقطمير .

وكذلك المجتمعات إذا وعت واتبعت هذا المنهج فإنها ستحقق من الخير الكثير يعم شعوب العالم أجمع ، فيجعلها أكثر تعقلا وفهما للحياة . تأخذ بيد المستضعفين لغوثهم ، وعونهم ، وإطعامهم ، وليس لانتزاع اللقمة من أفواههم والتسلط علىٰ ثرواتهم فطالما صلحت النظرة إلىٰ الحياة ، واستقامت علىٰ منهج الله فقد زالت التشوهات وصار الانسان إنسانا ، وإذا ما وصل الانسان إلىٰ هذه الدرجة من الشعور ، حلت النظرة الانسانية محل النظرة الحيوانية ، والنظرة المادية . واستراح الضمير الانساني العام . وهدأت الفتن والاضطرابات ، وساد السلام وعم الرخاء .

والآن لننظر إلىٰ حياة المسلم كما يصورها القرآن الكريم ، أو تبينها السنة المطهرة فنراها حياة إنسان يعيش في جو من هذه المعرفة الواسعة الشاملة الكاملة ، إنه لا يعيش مع نفسه وأنانيته فقط . بل إنه يعيش مع أخيه الانسان في المجتمع ، ومع العالم أجمع في هذا الكون ، ثم مع عالم الغيب ، وهو في عالم الشهادة ، وهو مع عالم

الآخرة مع أنه لا يزال في عالم الدنيا .

بهذا التصور الكبير للحياة كاملة غير منقوصة ، وبهذا الاتساع في الآفاق ، وبهذا القرب لعالم الغيب يعيش الانسان ويرىٰ ذلك كله وكأنه جميعا بين يديه وأمام ناظريه ، أينسىٰ الدنيا وهو فيها ؟ أم ينسىٰ الآخرة وهو مقبل عليها ، وقد يرحل إليها اليوم أو غد ، أم ينسىٰ الغيب وهو قادم إليه ، وسيكون من عالم الشهادة ، فكيف لا يذكر القادم القريب ويستعد لاستقباله ، وسيلقاه غدا أو بعد غد .

هذه حياة المسلم يرسمها لنا القرآن الكريم ، ويدلنا عليها المنهج التعليمي المستمد من القرآن الكريم ، ليضعنا أمام تصور للحياة كلها قاصيها ودانيها ، ويرتسم الطريق أمام الانسان وهو يعبر الحياة عالما غير جاهل ، سميعا غير أصم ، بصيرا غير أعمىٰ ، واعيا غير غافل ، يسير علىٰ هدىٰ وطمأنينة حتىٰ يصل إلىٰ مستقره الاخير .

المبحث الثالث

نموذج تدريس مادة العلوم الطبيعية

تعتمد طريقة التدريس في المنهج الاسلامي علىٰ الركيزتين المعروفتين وهما المعلم والكتاب ولنبحث دور كل منهما في الوصول إلىٰ النتيجة المرجوة ثم نتكلم عن ركيزة ثالثة هي طريقة التدريس .

اولا : المعلم : إذا تساءلنا عن المعلم ، من هو المعلم الذي يصلح لتدريس مواد العلوم الطبيعية في ظل المنهج الاسلامي ؟ نجد أن المنهج يتطلب أن تتوافر فيه نفس الشروط التي يتطلبها في المعلم الذي

يكلف بتدريس مادة التفسير أو الحديث أو التوحيد أو .. فللمعلم دوره وأهميته في تدريس المادة ، وإذا كنا نعتبر مادة هذه العلوم من المواد المبينة للقرآن والسنة أو من المواد المفسرة لها ، أو هي مادة التوحيد والعقيدة . فلا شك أن هذه الاهمية التي نعطيها للعلوم الطبيعية تستدعي أن يكون المعلم كذلك علىٰ مستوىٰ من العقيدة التي سيكلف بتدريسها .

هنا نلاحظ أن نوعية التدريس تختلف تماما في المنهج الاسلامي عما سواه لاختلاف الهدف من التدريس ، وما دام الهدف هنا من تدريسها وان كان ينجم عنه نتائج وفوائد مادية إلا أن الهدف الرئيسي الذي يقصد من تدريسها هو كونها مادة التوحيد والعقيدة ومادة التفسير والبيان للقرآن الكريم ، فبهذا المعنىٰ يتطلب أن يكون المعلم علىٰ هذا المستوىٰ من الايمان ليكون أهلا لتدريس هذه المادة .

إن للغرض دور كبير في معرفة أهمية المادة وتحديد طريقة معينة لتدريسها . ففي المنهج الحالي غير الاسلامي لا يؤبه كثيرا لعقيدة من يقوم بتدريس العلوم الطبيعية ، وذلك لأن الغرض من تدريسها لم يعد الغرض المادي البحت . أما وقد اختلف الغرض فقد اختلفت الطريقة ، ولسوف تختلف النتيجة أيضا . وأخذنا بهذا الاتجاه يتطلب شروطا معينة في المعلم لنصل إلىٰ النتائج المرجوة بعد أن أصبح في ظل هذا المنهج مدرسا لمادة العقيدة والتوحيد وليس لمادة الحديد المجردة ، بل لمادة الحديد التي وردت في سورة الحديد ، وارتبطت بارسال الرسل وانزل الكتب والعدل . قال تعالىٰ :

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس .. ﴾
(الحديد ٢٥)

تأمل في هذه الآية ودلالاتها ، وأدرك مدىٰ الربط الحاصل فيها بين هذه العناصر التي عددتها الآية . وأعلم أن مثل هذه المادة لا يدرسها إلا مدرس عرف الحديد ما هو ولكنه عرف كذلك أنه آية منزل من عند الله ، وعلىٰ هذا فقس كل ما سخر مما في السماوات وما في الارض .

وللمعلم في منهج التعليم الاسلامي دور المربي فما هي الشروط التي يجب أن تتوافر في هذا المعلم كي يحسن التربية فلا يسيئ ، ولكي يكون أهلا لتوجيه طلاب العلم نحو الافضل حيث يتسلم المهمتين التربية والتعليم . إننا إذا أدركنا عظم المهمة أدركنا دور المعلم وأدركنا الاهلية التي يجب أن يتمتع بها للقيام بدوره علىٰ الوجه المطلوب .

ثانيا : **الكتاب** : وللكتاب شروطه لابد من توافرها حتىٰ يقوم بالدور الذي يحتله في المنهج الاسلامي ، والكتب المدرسية المتداولة غير مستوفية الشروط ، وتحتاج إلىٰ إعادة نظر لإزالة عيوبها . أو وضع كتاب جديد يختار لوضعه نخبة من المتخصصين في المادة من المسلمين ينضم إليهم عدد من رجال الشرع الذين فهموا روح الشريعة ووقفوا علىٰ أسرارها ، حيث تقوم هذه اللجنة باختيار بحوث الكتاب مستهدية في عملها بمنهج التعليم الاسلامي الصحيح المستمد من القرآن والسنة ، وليس حب المفهوم القائم اليوم في أذهان كثير من رجال الاسلام وحراس الشريعة الذي يكرس فكرة

الفصل ويؤيدها . نريد الكتاب الذي يعجن الحديد بالتوحيد حيث تتولىٰ اللجنة الإخراج علىٰ أنهما شيئ واحد ، ومادة واحدة ، لا فاصل يفصل بينهما ما دام الحديد آية من آيات الله ، وصنعة من صنعته ، وعلىٰ هذا النحو يتم إخراج كتب سائر المواد المقررة للتدريس .

ثالثا : طريقة التدريس : إذا توافر المعلم والكتاب حسب الشروط المطلوبة في كل فعلىٰ المعلم أن يلتمس طريقة التدريس المقررة في المنهج الاسلامي للتعليم متبعا في ذلك الخطوات التي اعتمدها لتكون انموذجا يقتدىٰ به .

ولنضرب علىٰ ذلك مثلا في تقرير درس لمادة من المواد ولتكن الحديد من دروس الكيمياء فالخطوات التي تتبع في شرح وايضاح الدرس تكون حسب التسلسل التالي :

المادة : الكيمياء المعدنية .

موضوع الدرس : الحديد .

سير الدرس :

١ ـ التمهيد : بتلاوة الآية ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبين لهم أنه الحق** ﴾ (فصلت ٥٣) أو الآية ﴿ **وفي الارض آيات للموقنين** .. ﴾ (الذاريات ٢٠)

وبعد تلاوة الآية نبين أن الله سبحانه جعل الأرض كنزا كبيرا ، أودع فيه ثروات طائلة ، أو جعلها مستودعا كبيرا يضم العديد من المخزونات كما تشير إليه الآية ..

وفي هذا الدرس نخص بالبحث إحدىٰ هذه الثروات وهي :

الحديد .

٢ ـ مواصفات الحديد : ونتناول أوصاف الحديد الأساسية بأنه معدن صلب لونه .. كثافته .. قابل للطرق .. ينصهر بدرجة حرارة .. يوجد في الطبيعة علىٰ .. يستفاد منه في صنع .. .

٣ ـ استخراجه : يستخرج من أماكن وجوده علىٰ شكل فلزات .. توضع في أفران بدرجات حرارة عالية لتخليصه من الشوائب .

وهنا تحين الفرصة للسؤال : من أودع هذه المواد باطن الارض بعد عرض نماذج منها ؟ من اعطاها هذه المواصفات والطالب ينظر إلىٰ النماذج ؟ من أشار إلىٰ أهميتها ومنافعها للانسان ؟

وهنا يتلو المدرس آية الحديد من سورة الحديد ويستمع إلىٰ الجواب بعد هذا التحريك للقلوب واستجاشة المشاعر .

٤ ـ خواص الحديد الكيميائية : ويتناول رمزه الكيميائي وتفاعلاته و .. والتحليل والتركيب . والفيزيائية : ويتناول كذلك أوجه استخدامه في هذا المجال .

ويلي سرد الخواص تعليق علىٰ ما ظهر من آيات ودلائل الاعجاز والقدرة والتقدير .

٥ ـ ما يستفاد من الحديد : يستعرض المدرس هذه الفوائد في المجالات المختلفة .. ثم التعليق والربط مع قوله تعالىٰ ﴿ **ومنافع للناس** ﴾ وماذا يوحي هذا القول ..

٦ ـ كلمة عما توحي إليه هذه المادة بعد أن قرأنا تاريخها بالكامل وعرفنا حقيقتها ثم توجيه بعض الاسئلة والاستماع إلىٰ الأجوبة ومدىٰ تأثر الطالب .

وهذا العطاء ، والوفرة ، ولنتساءل عما توحي إليه هذه المادة .

من الذي ركبها علىٰ هذه الكيفية ؟ من الذي أودعها خصائصها ، وأعطاها مواصفاتها وجعلها بخصائصها تلك تقدم هذه الخدمات للانسان ؟

أليست صنعة الله ؟ أليست منحة الله ؟ أليست عطاء الله ؟ أم هناك صانع سواه !

إنها صنعته ويحق لنا بل يجب علينا أن نتعرفها وندرسها ونفهمها لأنها تقودنا إلىٰ الله سبحانه ، وتقودنا إلىٰ الإيمان بالله .

المبحث الرابع
من يحمل مسؤولية تنفيذ هذا المنهج

تمهيد : عرفنا أننا نخضع في تعليم أبنائنا ، لمنهج غير اسلامي يخطته ولغته ومصطلحاته ، وأن هذا المنهج قد أقام حاجزا بين الدين والحياة . بدأت بفصل بين الدين والتعليم ، وانتهت بفصل كامل شمل مرافق الحياة كلها . وقد رأينا ما صنع بالانسان سواء في بلد المنشأ أم في سائر بلاد العالم التي أخذت بهذا المنهج ومنها بلاد المسلمين . كيف أفسد العلاقة وأفسد التصور وأفسد التعامل وكيف صاغ الأهداف والأغراض البشرية كلها فجعلها هدفا واحدا هو الانتاج . فالانسان يحيا من أجل الانتاج ويموت في سبيل الانتاج ولا غرض له إلا الانتاج . ويحرك الانسان إلىٰ هذا الهدف الربح المادي فحركة الانسان نحو الانتاج ابتغاء الربح والكسب لا غير .

من أجل ذلك اتجه التعليم كله إلىٰ تحضير الانسان للانتاج .

فكل ما يتلقاه الانسان علىٰ مقاعد الدرس ، إنما هو اعداد له ليكون عنصرا من عناصر الانتاج ، ويساهم في زاوية من زوايا الانتاج . فسواء كان هذا الانسان قد تعلم وتخصص في الطب ، أو في الهندسة ، أو في الصيدلة ، أو في ..الخ أوكان عاملا في معمل يقف خلف آلة ، فكلاهما ذاك الانسان الذي يعمل للانتاج العام أو الخاص ، ويسعىٰ وراء المادة والربح المادي . ورسخ هذا المفهوم في الحياة ، فلم يعد هناك من يسعىٰ وراء الحقيقة ، أو وراء المعرفة ، إلا النذر اليسير . وحتىٰ هذا القليل لم نعد نسمع بذكراهم . فقد ملأ علينا حس الانتاج ، والسعي للربح ، كل فراغ في حياتنا . فأصبحنا وقد استغرقت الفكرة حياتنا كلها ، وأوقاتنا كلها ، وأصبح الكثير منا يشعر بالحرج والعسر إذا همّ بأداء الصلاة في المسجد ، فالذهاب والاياب سوف يضيع عليه من الوقت ما هو بحاجة إليه ، من أجل الانتاج ، من أجل الربح . وعليه فلتكن الصلاة في مكان العمل ، أو في جوار الآلة ، مراعاة للانتاج .

وهكذا سارت الأمور تدريجيا نحو التحلل من كل رابطة أو ارتباط . ووصل الأمر إلىٰ أن أصبح الانسان مستعدا لأن يضحي بكل شيئ ليسلم الانتاج . وبالفعل ضحىٰ الانسان بالدين كله في أوربا وأمريكا وروسيا وسائر البلاد غير الاسلامية ، ولم يعد يشعر بضرورته ، أو الحاجة إليه ، في الحياة العامة أو الحياة الخاصة . فالدين لا شأن له في المصنع ولا في المنجم ، كما لا شأن له في التجارة ، وفي أسواق البيع . حتىٰ في حياة الفرد الخاصة لم يعد يشعر الانسان في تلك البلاد مبررا لتدخل الدين قد يراه مرة في

العمر وهو عند اتمام مراسيم الزواج ، في بعض البلدان وليست كلها فقد أصبح الزواج مدنيا أيضا ، أي يتم دون تدخل من رجال الدين أو وساطتهم .

هذا الطابع الذي طبعت به حياة الناس في هذه البلاد ، قد أخذ يستهوي بعضا من أبناء المسلمين الذين ذهبوا إلىٰ بلاد الحضارة ليتعلموا ويتثقفوا وينقلوا . لقد خبلهم مظهرها ، فرأوا فيها كل فتنة وزينة ، ورأوا فيها حظ النفس وقد أعطي النصيب الأوفىٰ ، وهذا ما شد عزيمتهم علىٰ النقل ، وأغواهم علىٰ الاقتباس .

لقد عاد رواد الحضارة وكأن في جعبتهم كنوز الحياة ، وفي تصوراتهم حقيقة الحياة ، وفي عيونهم بريق الحياة ، وفي أيديهم قلب الحياة ، وعلىٰ ألسنتهم نغمات الحياة . أقبلوا علىٰ الناس يصفون مشاهداتهم ويحكون حكاياتهم في بلاد الحضارة ، فكأنها صارت بلاد الأماني والأحلام . وأقبل الناس إليهم يستمعون عما جد في بلاد الناس بلهف وشوق . والكل قد أصبح يحلم ، ويمني النفس ، هذا بتحقيق ما قد شاهدته عيناه ، وطربت لنغمته أذناه ، وذاك بالاستعداد لشد الرحال أو لتقليد ومحاكاة ما يفعله هؤلاء الناس .

المهم في الأمر أن مرض التقليد سرىٰ في بلاد المسلمين واستشرىٰ وأصبح الهدىٰ هياما وجنونا ، وأصبح طابع العباد في هذه البلاد ، سواء في الطعام أو الشراب ، وسواء في اللباس أو السكن ، حتىٰ في العادات والسلوك ، هو طابع البلاد الاجنبية

والحضارة الغربية التي أخذنا نفد إليها نتعلمها ، ونتفهمها ، ونتتلمذ علىٰ يديها .

وبما أن الحضارة الغربية قد تركت الدين ، وأودعته الكنيسة ، عندما فصلت التعليم عن الدين . فإن من تعلم في مدارس هذه الحضارة قد أخذ العلم بلا دين . بعيدا كل البعد عن الدين ، وعاد إلىٰ البلاد معلما ، واستاذا ، ومحاضرا ، ليعلم وليدرس وليحاضر ، وليردد ما تعلم ، وليقرر ما يعلّم كذلك بلا دين . وشرع يربي الأجيال علىٰ يديه ، كما تربيٰ هو علىٰ أيدي اساتذته في فرنسا أو بريطانيا أو أمريكا أو ..الخ

إنه يعطي ما أخذ ويصبغ نفس الصبغة التي اصطبغ بها في البلاد التي ارتحل إليها . وتوالت الأجيال تحمل هذا العلم العاري عن الاخلاق ، والمتعري من الدين . ومنحوا شهادات تحصيل هذا العلم ووضِعوا أو وضَعوا أنفسهم في محل الصدارة فتسلموا القيادة وساقوا البلاد في نفس الاتجاه . فأخذ الدين يغيب رويدا رويدا من النفوس ، ثم من الحياة . وأخذت حراس الشريعة الدهشة ، وهم يرون الدين يتقلص سلطانه وتخبو أنواره ، والفسق والضلال والانحلال تنتشر معالمه ويكثر أتباعه . ولقد عرفنا من العرض الذي قدمناه ، أن السبب في كل هذا ، هو منهج التعليم الانفصالي المستورد ، الذي نقله رواد الحضارة إلىٰ البلاد ، وسمموا به أفكار العباد ، باسم العلم والتعليم وباسم الحضارة والتقدم والرقي . لقد حصل ما حصل وحراس الدين في باديْ الأمر ، كانوا في غفلة عما يحدث في البلاد ، فما أفاقوا إلا وأجيال الالحاد ، من أبناء البلاد ،

بدأت تتدفق علىٰ الحياة ، وتتسلم زمام الحياة ، لتنشر في ربوع البلاد ، ما حمّلها منهج التعليم من أفكار وتصورات .

وقامت مساعي كثيرة ، لرد هؤلاء الخارجين إلىٰ حظيرة الدين ، ودعودتهم إلىٰ الايمان واليقين . واستجاب للدعوة من استجاب فعاد إلىٰ الصواب . ولكن الغالبية بقيت متمردة لا تستجيب ، فقد سيطر عليها الهوىٰ وحب الحياة ، وزينة الحياة ، ففتنها أشد فتنة .

وبعد أن بينا في هذا المنهج أنه لا مناص للاصلاح إلا بالعودة إلىٰ منهج التعليم الاسلامي ، فأخذ به في إطار الحياة كلها ، لا نفرق بين تعليم وتعليم ، ولا بين علم ودين ، ولا نميز بين دنيا وآخرة ، أو بين مادة وروح ، لأن الكل في نظر المنهج الاسلامي للتربية والتعليم واحد ، فخط السير في حياة الانسان المسلم واحد لا يتعدد .

نريد أن نبين في هذا المبحث من المسؤول عن التنفيذ ، لنحدد الجهة التي تتحمل المسؤولية ، والتي يجب أن تأخذ علىٰ عاتقها القيام بما يتطلبه تنفيذ هذا المنهج . لأن الاضطلاع بالمسؤولية ، يعني السير في التنفيذ ، ولايمكن السير ولا تتم الحركة ، إلا إذا أخلص المسؤولون النية ، وعرفوا قيمة هذه المسؤولية .

حركات التنصير عرفت مهمتها ، وقدرت مسؤوليتها ، فقامت بكل وسيلة تزرع في بلاد المسلمين المدارس ، وانظر إلىٰ عدد هذه المدارس في دمشق وحلب وفي القاهرة والاسكندرية وفي عمان وبيروت وفي تونس والجزائر ومراكش ، تعلم مدىٰ اضطلاع هذه الحركات بمسؤوليتها ، حتىٰ تمكنت من تأسيس هذه الاعداد

الضخمة من المدارس ، والمسلمون وهم في بلادهم ، وفي أوطانهم ، لا يملكون مدرسة واحدة ، تعادل حجم إحدىٰ المدارس التنصيرية القائمة في البلاد . واذا وجدت بعض هذه المدارس ، فهي لا تزال صغيرة في حجمها ، ضعيفة في إمكانياتها ، إذا قيست بالمدارس الأجنبية التنصيرية المنافسة لها ، والتي تستقطب أبناء وبنات العائلات ، لتربيهم وتنشئهم علىٰ الطريقة التي تريدها ، تعودهم علىٰ السلوك الذي ترتضيه قيادة هذه المدارس والتي سبق لها أن رسمته بالاتفاق مع قيادة التنصير في الفاتيكان .

المسلمون اليوم في بلادهم ، لا يملكون مدرسة واحدة تطبق المنهج الاسلامي للتعليم . هذا المنهج الذي رسمنا خطوطه ، وبينا طبيعته وخصائصه . فأنىٰ لهم أن يصلوا إلىٰ الامساك بزمام الحياة ، وهم لا يملكون رافدا من روافد الحياة . إن المدارس اليوم بمختلف مراحلها هي روافد الحياة من الناس . ترفد المجتمع بمجموعات بشرية بعد أن تطبعهم بطابعها ، وتزودهم بما عندها من الخبرات والمعلومات بهذه الحياة .

وإذن فليدرك المسلمون كم هم علىٰ خطر عظيم . إنهم علىٰ الهاوية طالما أن منهج التعليم الاسلامي الذي ينبغي أن يصون أبناءهم وبناتهم ، وأن يطبعهم بطابعه ، وأن يزودهم بما عنده من خبرات ، ذات طعم خاص ، ولون خاص ، وذوق خاص ، ليس موجودا في واقع الحياة . إنما الموجود هو المنهج غير الاسلامي في المدارس الرسمية التي تشرف عليها أجهزة الدولة وفي المدارس الخاصة التي

تقيمها جهات خاصة والتي معظمها أجنبية تنصيرية .

إننا نعرض هذا ، ونبين هذه الحقيقة ، لنبين مدىٰ وعظم المسئولية التي تقع علىٰ عاتق حراس الشريعة ، لصون الشريعة ، بصون الأجيال التي يجب أن تربىٰ ، وتنشأ ، وتغذىٰ بالشريعة ، وعلىٰ أيدي رجال الشريعة الأمناء عليها . والقائمين بحراستها .

من هذا التمهيد يتضح لدينا أن هذا المبحث يعالج ناحيتين اثنتين ، أو أمرين اثنين : الأمر الاول : هو تحديد المسئول عن تنفيذ منهج التربية والتعليم الاسلامي . والأمر الثاني : هو بيان كيفية هذا التنفيذ ، وسنوضح ذلك باذن الله في المطلبين التاليين :

المطلب الأول : المسؤول عن تنفيذ منهج التربية والتعليم الاسلامي .

المطلب الثاني : كيف يتم تنفيذ منهج التربية والتعليم الاسلامي .

المطلب الأول

المسؤول عن تنفيذ منهج التربية والتعليم الاسلامي

إن المسئولية كبيرة وكبيرة جدا وتحتاج إلىٰ رجال قادرين علىٰ حملها والاضطلاع بها . إنها في الواقع مسئولية الأمة المسلمة كلها متمثلة عظم هذه المسئولية وساهرة علىٰ أدائها بأمانة وإخلاص .

وعلىٰ الأمة المسلمة أن تنتدب لهذه المهمة من ترىٰ فيهم الأهلية الكاملة . وتختار لها من عرفوا بالعلم وسعة المعرفة مع التقوىٰ . وممن اشتهروا بالأمانة والصدق . وممن اتصفوا بالعزيمة واخلاص النية . فعلىٰ قدر أهل العزم تأتي العزائم .

ويمكن أن نستعين بالقرآن الكريم في تحديد سمات هؤلاء الرجال

الذين وصفهم القرآن الكريم أنهم رجال حقيقة فقال : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ (الاحزاب ٢٣) .

وقال : ﴿ **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تنقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ (النور ٣٦ ـ ٣٧) .

بيد أمثال هؤلاء نضع أمانة تعليم أبناء المسلمين وإلىٰ هؤلاء الرجال نسند مهمة تنفيذ منهج التربية والتعليم الاسلامي .

إلىٰ هؤلاء الرجال أتوجه بالخطاب . وأضع بين أيديهم أمانة الأجيال المسلمة المتدفقة علىٰ الحياة وأطالبهم أن يتصدوا هم بأنفسهم لحمل هذه الأمانة . وأن يضطلعوا بتلك المسئولية عاملين بكتاب الله ، منفذين لمنهج الله ، بكماله وتمامه وشموله . منهج الله في التربية والاعداد للحياة . ومنهج الله في التعليم والتعريف بالحياة .

إلىٰ هؤلاء الرجال أتوجه بالنداء ليبادروا إلىٰ حمل الأمانة فلا ينتظروا من الأمة تفويضا أو رجاء . فالأمة المسلمة سكرىٰ بخمر دنياها ، وشهواتها وأهوائها ، لا تلتفت إلىٰ تربية أبنائها ولا تبالي ، كما لا تلتفت إلىٰ تعليم أبنائها ولا تبالي . فليرب من شاء ، وليعلم من شاء . بل هي إذا صحت علىٰ التعليم ، دفعت بابنائها إلىٰ مدارس التنصير ، لتتولىٰ تعليمهم ، وتتولىٰ توجيههم ، وتتولىٰ تربيتهم . وهذه الأمثلة الواقعية الحسية تملأ بلاد المسلمين . مدارس التنصير تعج بأبناء وبنات المسلمين ، ومدارس الاسلام إن وجدت فهي

خاوية خالية إلا من النذر اليسير. إنه انقلاب خطير في مفاهيم الأمة المسلمة، منشأه منهج التعليم غير الاسلامي، الذي فرض علىٰ أبنائها، ولم تدرك خطره إلا بعد أن خرب ودمر.

إن علىٰ حراس الشريعة وحماة الدين، أن ينتبهوا لهذا الخطر، وأن يدركوا عظم المسئولية، فيعدوا أنفسهم لمواجهة القضية، ويستعدوا لعلاج هذا الواقع. إنهم أمام أجيال تأتي إلىٰ الحياة علىٰ فطرة الايمان والاسلام، فعليهم أن يحافظوا عليها، فلا تدنس ولا تشوه في عقيدتها.

لابد لفطرة الأجيال المسلمة من حراسة، فلا تمتد إليها يد الكفر والضلال، فتفسد هذه الفطرة. وأشد ما يواجهه حراس الشريعة، هو منهج التعليم غير الاسلامي. فلابد من التصدي له ولابد من إبعاده عن بلاد المسلمين.

ولا شك أن التصدي لهذا المنهج الأجنبي الانفصالي، بعد أن تمكن في البلاد وتحكم، مهمة شاقة وصعبة، ولكنها ليست مستحيلة، إذ لابد من الخلاص من هذا المنهج، وإلا ضاع الاسلام، وضاع المسلمون، وذهبت ريحهم.

وإذا تصدىٰ لهذه المهمة الخطيرة، أولئك الرجال الذين ملكوا قوة في العلم، وقوة في التقوىٰ، وقوة في حمل المسئولية، وأداء الأمانة، فبعون الله تعالىٰ وتوفيقه، لابد أن يغلبوا ويظفروا، فما ضاعت الأمانة، إلا عندما تهاون حملتها في أدائها، وغفلوا عن دور اللصوص، وهم يسرقون الاخلاق، ويشوهون الدين، في تلك الأماكن التي سموها مدارس التعليم، فكانت مراكز سلب

الدين ، ونبذ الاخلاق ، وهتك الاعراض .

ولذا فان الصحوة من رجال الشريعة وحراس الدين ، لابد أن تعيد الحق إلىٰ نصابه . وتعود المياه إلىٰ مجاريها . لقد آن لأمة الاسلام ، ولرعاة أمة الاسلام ، أن يتنبهوا إلىٰ أين يقذف بهم منهج التعليم غير الاسلامي . وهذا الانتبها وتلك اليقظة ، هما العاملان اللذان يحركان الهمم للسير في طريق الاصلاح ، مهما كان صعبا ، ومهما كان شاقا ، المهم أن نعود إلىٰ منهج الاسلام في التربية والتعليم . أي أن تمكن الأجيال المسلمة بأن تتغذى(وأن تنشأ علىٰ مائدة الاسلام ، غذاء الروح ، وغذاء الجسد ، سواء بسواء . وأن تتاح الفرصة لمن خضع لمؤثرات المنهج غير الاسلامي ، أن يتنسم روح الحياة ، في ظلال المنهج الاسلامي ، فيميز الخبيث من الطيب ، ويفرق بين الخير والشر ، فيلحق بركب الايمان .

وطبعا كل ذلك لا يتم إلا بسعي ، وحركة ، ونشاط وبذل ، من رجال الشريعة وحراس الدين . فتلك مسئوليتهم ، وتلك الأمانة الكبرىٰ التي عليهم أن يحافظوا عليها . وقد يسأل سائل كيف يتم تنفيذ هذه المهمة فنقول : الجواب هو موضوع المطلب الثاني .

المطلب الثاني
كيف يتم تنفيذ منهج التربية والتعليم الاسلامي

بعد أن عرفنا الفئة التي يجب عليها أن تتحمل مسئولية التعليم ، وتنفيذ المنهج الاسلامي في التربية والتعليم ، لابد أن نمهد لهذه الفئة السبيل ، وندلها علىٰ الطريق الذي يجب عليها أن تسلكها ضمانا

للوصول ، وتسهيلا لها في القيام بالمهمة ، وعونا لها علىٰ التنفيذ .

نلاحظ أن مراكز التوجيه بصورة عامة تنحصر في مركزين اثنين : المدرسة والمسجد ، ويمكن أن نضيف ثالثا ، هو محل تعليم المهنة ، حيث يتلقىٰ المتدرب شيئا من التربية والتعليم والسلوك . ولكن المركزين الأولين أصبحا من الأهمية بمكان ، لكونهما المكانين اللذين يستقطبان الناس ولذا نحصر كلامنا بصدد تنفيذ المنهج الاسلامي في هذين المركزين ، لنبين دورهما ، وأهميتهما في المساهمة في التنفيذ .

أولا : المدرسة :

لقد غدت المدرسة مركزا هاما في حياة الناس عامة ، وهي كذلك في حياة المسلمين خاصة ، ومنذ القدم المدرسة في حياة المسلمين لها شأن واعتبار ، وكثرة المدارس القديمة ، وما كان يوقف لها ، يدل علىٰ اهتمام المسلمين بها ، فمن هذه المدارس كان يتخرج العلماء وينبغ الفقهاء . وكان يشرف عليها اساتذة كبار ذوي شهرة ومكانة كبيرة في زمانهم .

ولما ضعف شأن المسلمين ، وخبا نور العلم فيهم ضعف بالتالي شأن هذه المدارس ، وقل من يتخرج منها حتىٰ انعدم ، بل توقف بعضها عن حمل رسالة التعليم لسبب ما ، وآلت سكنا أو خرابا أو آثارا يتغنىٰ بها .

ومع تفتح بلاد الاسلام علىٰ عصر النهضة في اوربا ، أخذت المدارس تعود من جديد ، ولكن إما أنها مدارس خاصة ، تشرف عليها هيئات خاصة ، كان أغلبها بالطبع من الأجانب ، الذين

[illegible]

منهج التعليم الاجنبي غير الاسلامي ، كما عرضنا الحال فيما سبق .

وإذا كانت دعوتنا في هذا المبحث لبيان من المسئول عن تنفيذ المنهج الاسلامي وكيف يتم التنفيذ ، وقد حددنا المسئول في المطلب الاول فإن التنفيذ كما يظهر أمامنا يكون باصلاح هذه المدرسة ، وعودتها إلىٰ وضعها السابق ، أيام ازدهارها ، وأيام عزها ، ومجدها ، ويعني عودة المدرسة ، هو عودتها إلىٰ إدارة مسلمة ، فلا يجوز ولا بشكل من الاشكال أن يتسلم إدارة مدارس المسلمين أشخاص غير مسلمين .

كما يعني عودة المدرسة ، هو تنقيتها من المعلم غير المسلم ، فلا يجوز أن يعلم أبناء وبنات المسلمين ، إلا المعلم المسلم ، المشهود له بالاخلاق وحسن السيرة ، إلىٰ جانب العلم والمعرفة .

كما يعني عودة المدرسة . هو عودتها إلىٰ الكتاب المسلم ، الذي يضعه كتاب مسلمون ، بروح اسلامية ، وبلغة اسلامية ، تشيع الروح والمعاني الاسلامية ، في نفوس قارئيها من الأبناء والبنات .

وهنا يأتي دور الفئة المسلمة ، من رجال الشريعة وحراس الدين ، للتدخل في شأن هذه المدارس كلها ، للاشراف عليها ، ورسم المنهج الاسلامي المناسب لمستواها ، وتسلم إدارتها لاختيار مديريها ومعلميها ، من ذوي العقيدة القوية الصلبة ، ومن ذوي السيرة الطيبة ، الذين يصلحون للاشراف علىٰ تربية الأجيال من أبناء المسلمين ، وتعليمهم سائر العلوم اللازمة لهم في الحياة ، مع الابقاء علىٰ العقيدة سليمة من كل شائبة ، مصونة من أن تدنسها فكرة خبيثة ، أو يد أثيمة .

فعلىٰ أيدي هذه الفئة المسلمة ، عندما تتسلم الاشراف علىٰ مدارس المسلمين ، يتم تطبيق المنهج الاسلامي في التربية والتعليم . ويكون لهذا المنهج وجوده ، وتظهر ثمراته في الاجيال التي يخرجها ، وقد تعلمت العلوم ممزوجة بالايمان ، وروح الاسلام ، فخرجت إلىٰ الحياة بسلوك الاسلام ، وأخلاق الاسلام ، وأمانة الاسلام ، أيا كان الاختصاص ، وأيا كان العمل والوظيفة .

وقد يظهر في بادئ الأمر أنه مطلب غير معقول أو أنه مستحيل أن تتخلىٰ الدولة عن الاشراف علىٰ التعليم لتضعه بين يدي هذه الفئة . ولكن الحق أحق أن يتبع ، ولابد لهذه الفئة أن تطالب بحقها فلا تسكت ، وتسعىٰ إلىٰ ذلك بجميع السبل الموصلة إلىٰ الغاية ، باللين مرة ، وبالشدة أخرىٰ ، إلىٰ أن تتم الاستجابة لنداء الحق ، وتسليم الأمانة لأهلها ، الاوصياء علىٰ رعايتها والحفاظ عليها . فلا وصول إلىٰ حق دون سعي إليه ، واتباع جميع الوسائل التي تؤدي إليه . وهل يسكت صاحب الحق عن المطالبة بحقه ؟ فلو كان لانسان دين علىٰ آخر وتقاعس المدين عن الوفاء فماذا يفعل الدائن ؟ ألا يفكر ويجتهد ويسعىٰ ويسلك كل سبيل يوصله إلىٰ حقه . وإذا كان هذا شأن الدين والحق الخاص لانسان ، فكيف بالدين العام والحق العام ، الذي إن أهمل في المطالبة به ، عم الضرر المجتمع كله . وإذا كان التعليم برمته ، من حق أهل الشريعة وحراس الدين ، أن يتولوا شئوونه ، ويرعوا مصالحه ، ليبقىٰ التعليم في حظيرة الدين ، تهيمن عليه الروح ، بكل فروعه وأشكاله ، وتجعله علما نافعا ، موجها لخدمة الناس ، ونفع الناس ، وليس مجرد

غرض مادي ، وربح تجاري ، كما هو عليه المنهج غير الاسلامي .

واليوم وبعد أن غدت المدرسة أهم روافد الحياة التي تزودها بأصناف المتخصصين وألوان المتعلمين . فلابد لهذا الرافد العظيم لتيار الحياة ، أن يبقىٰ تحت إشراف الدين ، ومشبعا بروح الدين . ولا يتم ذلك إلا أن يخضع لاشراف حراس الدين ورجال الشريعة ، الذين تسلموا أماناتها .

وإذا كانت محاولات رجال الحضارة ، المتفرنسون والمتأمركون والمتفرنجون بصورة عامة ، هو في إقصاء رجال الشريعة عن منصبهم هذا . فعلىٰ رجال الشريعة أن لا يسكتوا ولا يتهاونوا ، بل يثبتوا ويصبروا ، ويشددوا في الطلب والله ناصرهم ، ومؤيدهم في مسعاهم هذا ، ما داموا علىٰ الحق لا يساومون .

ثانيا : المسجد :

رأينا شأن المدرسة مركز التوجيه الخطير الذي يصاحب الأجيال منذ نعومة أظفارها ، وحتىٰ يصل بها إلىٰ سن الشباب . سن الجد والعمل والانتاج . ورأينا أن دورها هذا يجعلنا نتشدد كثيرا في تركها بأيدي غير المسلمين في المدارس الخاصة أو العامة لأن ذلك يعني فساد الأجيال حتما وتشويه دينها وأخلاقها .

أما المساجد في حياة المسلمين ، فمركز هام من مراكز التوجيه ، فيها يجتمع الناس لأداء فروض العبادة لله رب العالمين . فلابد كذلك من العناية بها وجعلها تقوم بدورها الحقيقي كما كانت أيام رسول الله ﷺ .

وإذا كان للمدرسة المسلمة أهميتها في حياة المسلمين حيث

أصبحت ترفد المسجد بأبنائها الذين توجههم إليه ، وتعودهم علىٰ التردد عليه ، والمكث فيه للعبادة وللعلم والذكر . فإن المسجد يبقىٰ له أهميته بأنه يستقبل الانسان وقد بدأ في سن النضج والعقل والتفتح علىٰ الحياة ، أو قد غدا رب أسرة ، فهو يرعىٰ نفسه ، كما يرعىٰ زوجة وأولادا ، يريد أن يعرف الطريق الاسلم في رعايتهم ، والقيام بواجباتهم ، إنهم أمانة بين يديه . وكذلك يستقبل المسجد المرأة عندما يجعل لها فيه مكان خاص للعبادة والاستماع إلىٰ الموعظة . فيغدو المسجد بذلك موئل التربية الاسلامية الحقة ، إذ يجمع الأب والأم علىٰ صعيد التوجيه والموعظة وفي محراب العبادة ، ليغذي أرواحهم بغذاء واحد ، فيبقيا علىٰ وئام ووفاق ، لأن مصدر الغذاء واحد طالما يغرفان من معين واحد .

وهكذا بفضل المسجد ، تستقيم حياة المسلمين وتستقر ، لدوره الذي يؤديه في حياة المجتمع الاسلامي . إنه محطة التغذية لهذا المجتمع ، التغذية الروحية ، والتربية السلوكية . ولكن كل ذلك عندما يتسلم المسجد من هو أهل للقيام بهذا الدور ، وتقديم الوجبات المناسبة . أما الدور الهزيل الذي أعطي اليوم للمسجد لأداء عبادات وكأنها طقوس شكلية تؤدىٰ ، قد صرفت المسجد عن القيام بالدور الذي أسس من أجله ، لقد أسس رسول الله ﷺ المسجد ليكون نقطة الانطلاق ، ومركز الاعداد . إنه مصنع الرجال الحق فيه تربىٰ الجيل الأول من صحابة الرسول ﷺ . كان المسجد كل شيءٍ في حياتهم . فصهرهم وجعل منهم معادن طيبة ، تنشر الخير ، وتسعىٰ للخير ، وتعمل من أجل الخير .

المسجد له دوره ومكانته في حياة المسلمين ، ولابد لرجال الشريعة وحراس الدين أن يتنبهوا لذلك ، فيعطوا المسجد ما يستحق من الرعاية ، والعناية . ليعود إلىٰ سابق عهده ويؤدي رسالته . وإذا لم نفطن لذلك فسوف نجد بعد قليل مساجدنا خاوية لا يرد إليها إلا النذر اليسير .

لابد من ربط الناس بالمسجد قبل أن تلهيهم التجارة والوظيفة وتصرفهم عنه الأهواء والشهوات . وربط الناس لا يكون إلا أن يختار للامامة والخطابة الرجال الأكفاء الذين يجدر بهم أن يكون كل منهم قائدا للأمة . لأن دور الامام ، هو دور القيادة والتوجيه ، للحي الذي يوجد فيه المسجد . فما لم يكن علىٰ مستوىٰ هذه القيادة وذاك الوعي الذي يؤهله لتسلم القيادة ، فسوف يفشل ، ويفشل معه الوعي الدور الذي يمثله المسجد . إذن في اختيار الائمة ، كما في اختيار المدرسين ، بعث للحياة في المسجد لابد من العناية به ، والاهتمام فيه ، وإدراك الخطورة الناجمة عن إهمال هذه الناحية ، ولولا خيط من إيمان يصل الناس بربهم ويبقيهم علىٰ تلك الصلة لرأينا المسجد قد خوىٰ من رواده كما خوت الكنيسة في بلاد أوربا .

وبإدراكنا لأهمية المدرسة في حياة المسلمين ، وأهمية المسجد كذلك ، وبذل العناية بهما ، بعد تسلم إدارتهما ، والاشراف عليهما ، يتاح لمنهج التعليم الاسلامي أن يوضع موضع التنفيذ . ويتاح لهذا المنهج أن يقدم للمجتمع ثمراته . وعند ذلك يعرف الثمر الطيب من الثمر الخبيث . وعندها سيدرك العالم أجمع دور المنهج الاسلامي في حياة المجتمع الانساني لأنه سيقدم له أعضاء تسعىٰ

خــــاتمة

بعد هذا النموذج الذي قدمناه عن كيفية تدريس العلوم الطبيعية . نأتي علىٰ خاتمة الكتاب لنستعرض فيها مما مر معنا من البحوث والدراسات بعرض موجز يذكر القارئ بالمواضيع التي مرت به . فنجد أن المقدمة قد تضمنت الفكرة الأساسية للكتاب وهي قضية العلوم الطبيعية وضرورة تصحيح النظرة إليها من قبل رجال الشرع الاسلامي ، ووضعها في المكان المناسب لأن منهج التعليم الاسلامي يوليها العناية التي تستحقها . ثم الباب الاول الذي ضمناه الحديث عن المنهج الاسلامي في التربية والتعليم بصورة عامة أتينا فيه علىٰ تعريف كل من التربية والتعليم وبيان طبيعة وخصائص التربية ثم طبيعة التعليم وخصائصه في المنهج الاسلامي مع مقارنة ذلك بما هي عليه المناهج الحالية المستعارة . أتبعنا هذا الحديث عن دور العلوم الطبيعية في التعريف بالكون والتعرف عليه . أي التعريف بالحياة الانسانية وعلاقتها بموجودات الكون ورأينا كيف أن هذه العلوم تقودنا إلىٰ الإيمان بالله صانع هذا الكون . إلىٰ جانب ما تقدمه للانسان من عون علىٰ الحياة وتيسير أسبابها وذلك في الباب الثاني . انتقلنا بعدها إلىٰ الباب الثالث فعرضنا فيه طريقة تدريس

العلوم الطبيعية وفق المنهج الاسلامي في التعليم بعد أن عرفنا دورها وأهميتها في حياة الانسان وضرورة تدريسها بالمنطق والتصور الاسلامي ووفق المنهج الاسلامي ، هذا المنهج الذي يرسم القرآن الكريم والسنة المطهرة قواعده الأساسية ، وليس المنهج الاسلامي بتصوره الحالي المشوه والبعيد عن التصور الاسلامي الصحيح . وبينا أن رسم المنهج في التعليم مرتبط بالاغراض التي نتوخاها من دراسة موضوعات العلوم الطبيعية وتدريسها .

وأنهينا الباب بعرض نموذج لدرس في علم الكيمياء المعدنية ليكون أمامنا مثالا عمليا لما ندعوا إليه ، هذا المثال لو اتبعناه وسرنا علىٰ منواله كم سيكون لتدريس العلوم الطبيعية من أثر طيب علىٰ العقيدة وعلىٰ الخلق ، وعلىٰ الحياة ، وكم ستعود بالخير علىٰ الدارس لها عندما يصل إلىٰ معرفة الشيء علىٰ حقيقته ، وفي مكانه الطبيعي ، ودوره الذي يؤديه في هذه الحياة . ثم بيان مدىٰ صلته وارتباطه بالحياة ، وخالق الحياة ، لنصل من خلال ذلك إلىٰ اليد التي أبدعته فنذكرها بالحمد والثناء ، ونشكرها علىٰ هذا العطاء ، والله تعالىٰ نسأل أن يهدينا سواء السبيل ، ونردد قول العزيز العليم :

﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾

ثم اتبعنا ذلك بتحديد الفئة التي تحمل مسئولية تنفيذ هذا المنهج وكيف يتم التنفيذ ختمنا به البحث اتماما للفائدة . والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

مَطبَعَة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة